

نُجَّة مَاتَسْرِبُهُ النَّوَاطِرُ، وَأَنْهَجُ مَا يَسْطُرُ فِي الدَّفَاتِرِ
فِي بَيَانِ تَوَلِيَّةِ ذِي الْكَمَالِ الظَّاهِرِ، وَالنَّسَبِ الظَّاهِرِ
سَعَادَةِ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِيْمَانِي فِي إِقْلِيمِ الْحَزَارِ

أخيه الأمير أحمد بن محيي الدين البجرازمي الحسني

سفره مخطوط کتاب
تقطيع الشام في محاسن دمشق الشام للشيخ جمال الدين القاسمي



سید

نُجَّة مَاتَسْرِبَ التَّوَاطُرُ، وَأَنْهَجُ مَا يَسْطُرُ فِي الدَّفَاتِرِ
فِي بَيَانِ تَوَلِيَّةِ ذِي الْكَمَالِ الظَّاهِرِ، وَالنَّسَبِ الظَّاهِرِ
سَعَادَةِ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِيْمَانِي فِي إِقْلِيمِ الْحَزَارِ

أخيه الأمير أحمد بن محيي الدين البجرازمي الحسني

مستخرجة من مخطوط كتاب
تغيطر السام في محاسن دس الشام للشيخ جمال الدين القاسمي



جميع الحقوق محفوظة

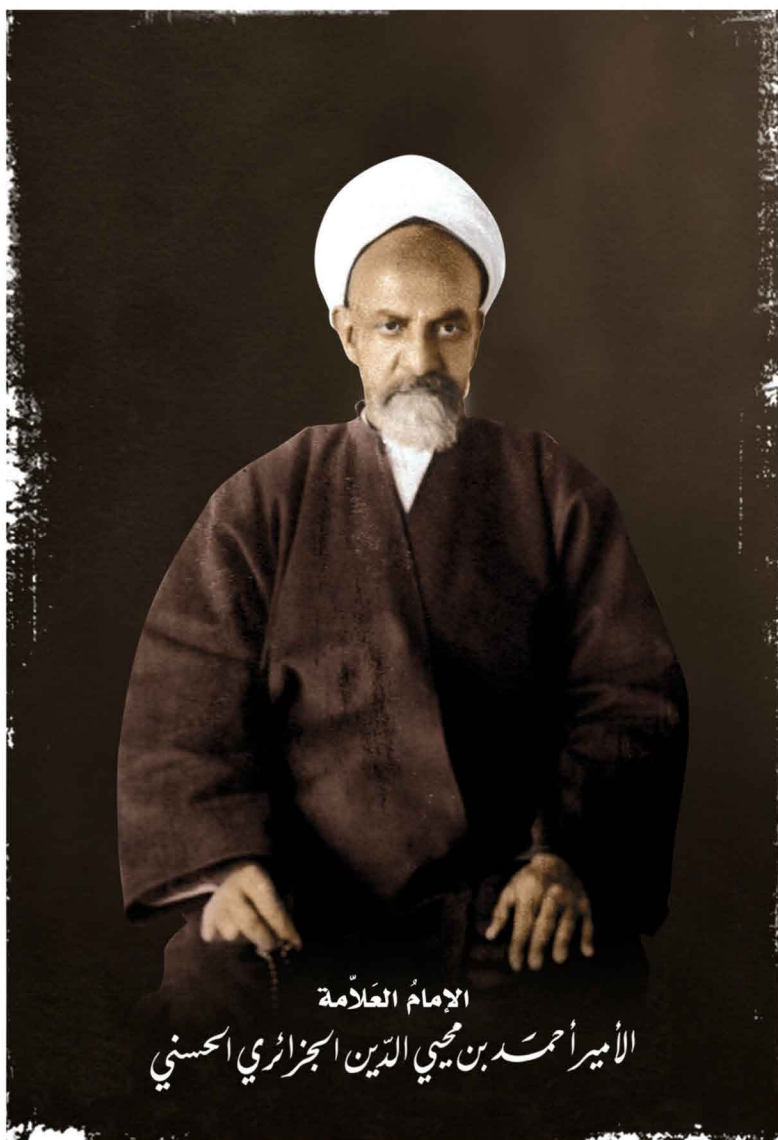
مؤسسة الأمير

عبد القادر الجزائري الوطنية

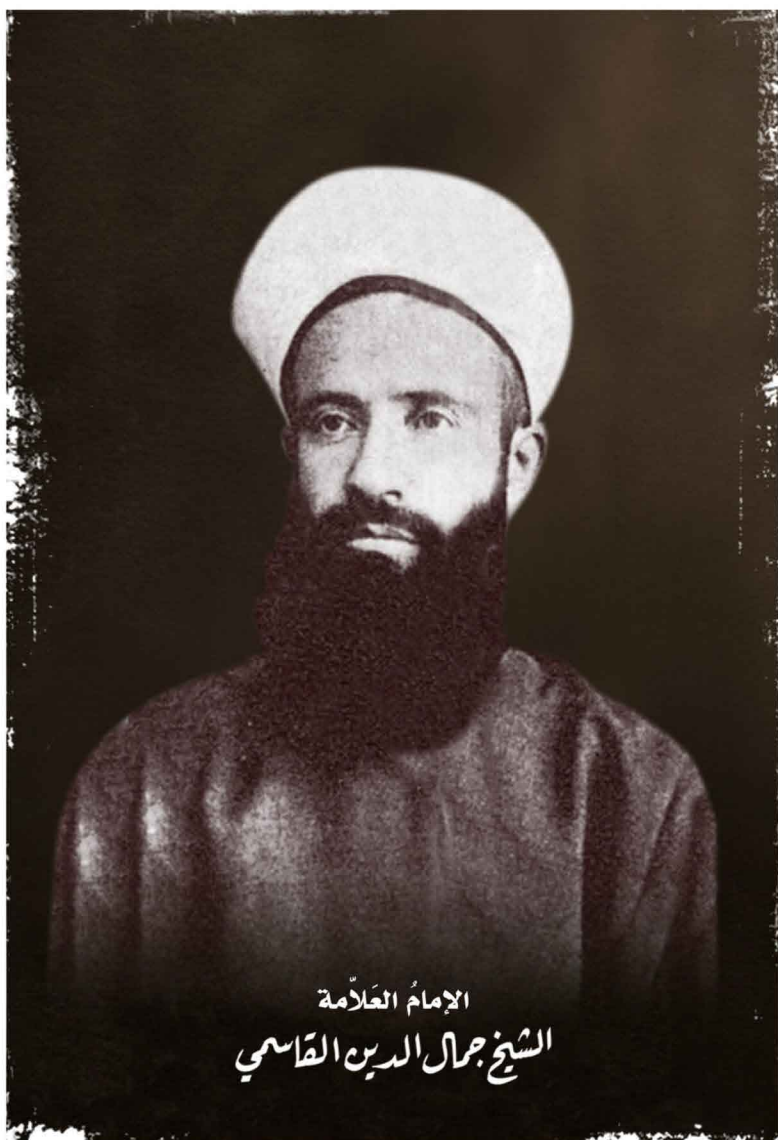


إِفْتَدَاؤُ

إِلَى كُلِّ مَوَاطِنٍ جَزَائِرِيٍّ سَهْمٍ



الإمام العلامة
الأمير أحمد بن محيي الدين الجزائري الحسني



الإمام العلامة
الشيخ جمال الدين القاسبي

قبيلة العارف بالله عبد القادر الإدريسي الحسني الشهير بسيدي قادة

عبد القادر
المعروف بسيدي قادة
(الجد الرابع للأخير)

الشيخ
محمد الجاهد
المصطفى



أحفاد عرش
السيد علي أبي طالب

أحفاد عرش والد الأمير
سيدي محيي الدين





كلمة شكر

تشكر مؤسسة الأمير عبد القادر الوطنية كلَّ مَنْ
أسهم في إحياء هذا الأثر الغالي من آثار الأمير عبد القادر
وبعثه إلى النور، وتخصَّ منهم:

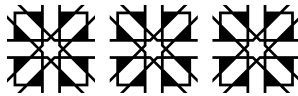
- حَفَدَة الشيخ القاسمي الذين أتاحوا لنا فرصة
الحصول على قطعة مصوَّرة من أصل كتاب
(تعطير المشام).

- الأميرة الزهراء بنت أحمد مختار حفيدة الأمير أحمد
مؤلَّف النخبة، إذ أهدت المؤسسة مجموعة من
مؤلَّفات جدِّها المكتوبة بخطِّه.

- الأستاذ المحقِّق محمد أديب الجادر المعني بشؤون
التراث العربيِّ والنصوص القديمة، وقد بذلَّ لنا
مصوَّرة عن مخطوطة (تعطير الشام).

- الدكتور فارس علاوي المتخصِّص في الفلسفة الذي
قدَّم قراءات في نصوص الرجلين.

- الأستاذ أحمد النّجار -كلية الدعوة الإسلامية-،
لنهوضه بتنفيذ النص وتصحيحه.
- الحفيد جعفر الحسنيّ الجزائري -كلية الحقوق-،
لسعيه الدؤوب في إحياء تراث الأمير، وحرصه على
متابعة إخراج النّص وبعثه إلى النور.
- الدكتور محمد قاسم مدرّس النّحو والصرف في قسم
اللغة العربيّة بجامعة دمشق لتفضّله بالتدقيق اللّغويّ
والمراجعة العلميّة للنّص.





تقديم الكتاب

يسرُّ مؤسسة الأمير عبد القادر الوطنيّة في الجزائر أن
تقدّم للسّادة القُرّاء ترجمة الأمير عبد القادر من كتاب
(نُخبَة ما تُسرُّ به النّواظر، وأبهج ما يُسَطَّر في الدفاتر).

وهي ترجمة مكثّفة مختصرة عن سيرة الأمير المجاهد
عبد القادر بن محيي الدين الجزائريّ، مودعة في موسوعة
(تعطير المشامّ في محاسن دمشق الشّام) للشيخ جمال الدين
القاسميّ، الذي كان قد طلب إلى الأمير أحمد بن محيي الدين
الأخ الأصغر للأمير عبد القادر أن يُحرّر هذه الترجمة بما عرفه
عن كتب عن أخيه الأمير عبد القادر.

وكان أن كتب هذه الترجمة التي نضعها بين أيديكم
لعلّها تُلقِي أضواء جديدة على سيرة هذا الرجل المجاهد
الأمير عبد القادر الذي مَلَأَ ذِكْرُهُ الخافقين.

وقد نسخنا هذه القطعة من المخطوطة التي تشبه أن
تكون موسوعة أو مدوّنَة لتاريخ دمشق الشّام ورجالها في

القرن التاسع عشر، وفق قواعد الإملاء المعتمد الحديث، وضبطنا ما يحتاج إلى ضبطٍ بالشكل لتسهيل القراءة، وشرحنا بعض المفردات التي تحتاج في تقديرنا إلى شرح.

هذا وقد يسرّنا ما طلبه السّادة المهتمّون بتاريخ الجزائر ورجالها من حبّ الاطلاع على نصّ ترجمة الأمير أحمد لأخيه الأمير عبد القادر، وهو نصّ عزيزٌ غير متاح.

نشر هذا الأثر الغالي الذي يمثل صفحةً ناصعةً من تاريخ وطننا الحبيب، بغبطةٍ وسعادةٍ وطنيةٍ غامرةٍ، إذ هذا النشر التاريخي جزءٌ من رسالة مؤسّسة الأمير عبد القادر الوطنية.

وكان قد سبقنا إلى نشر هذه الترجمة الدكتور محمّد مطيع الحافظ؛ الذي استخرجها من موسوعة: (تعطير المشام في محاسن دمشق الشام)، لمؤلّفها الشيخ العلامة جمال الدّين القاسميّ (1866م / 1914م) أبرز علماء دمشق في القرن التاسع عشر، وهو رجل موسوعيّ، مذهبه أصوليّ معتدلّ، وله جملة من التصانيف المختلفة.

ومؤلف (نخبة ما تُسرُّ به النواظر، وأبهج ما يُسَطَّر في الدفاتر):
هو العلامة المفتي أحمد بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري
(1249-1320 هـ / 1833-1902 م) وُلد في القيطنه - معسكر،
وتُوفِّي والده قبل أن يتمَّ ستته الأولى، عالمٌ في الفقه والتاريخ،
تلقَّى علومه على يد ثلثة من علماء الجزائر، منهم: الشيخ محمد
ابن عبد الله الخالدي الجزائري، وكان قد حفظ القرآن صبيّاً،
وسمع من أخيه الأمير عبد القادر صريح البخاري
ومسلم.

ثمَّ لما استقرَّ به المقام في دمشق أتمَّ تحصيله، وأخذ عن
جملة من العلماء منهم:

الشيخ محمد عبد الله الخاني، والشيخ محمد
الطنطاوي، والشيخ قاسم حلاق، والشيخ يوسف الحسني،
والعلامة المجاهد مصطفى بن التَّهامي إمام المالكيَّة في دمشق.

ولما أطلق الإمبراطور نابليون الثالث سراح الأمير
عبد القادر من فرنسة إلى بورصة بكفالة السلطان الأشهب
عبد المجيد خان، رُحِّل منها أيضاً الأمير أحمد مع إخوته إلى
الجزائر لتشتيت شملهم.

يقول الأمير أحمد في كتابه النخبة:

(استحسن نابليون -الثالث- أن يفرّق بينه وبين إخوته، فرحلهم من إمبواز إلى الجزائر، وأسكنهم في مدينة بونة ليجعلهم كالرهبان، ويُقيهم فيها قطعاً لألسنة أرباب دولته، وتأميناً لهم، وتسكيناً لأفئدتهم كيلا يحصل لهم من الأمير أدنى مناكدة، أو تشويش مع وجود إخوته تحت قبضتهم، وحسماً لما تعطيه أفكارهم من كون الأمير لا يصبر عن العودة إلى وطنه ومحل إمارته وعزه، وأنه بمجرد خروجه للبلاد الإسلامية يرجع إلى الجزائر، وكانت أفكاره هو غير أفكارهم).

ثمّ بعد ذلك طلبوا الرحيل إلى تونس لمجاورة علمائها وفضلائها، فرفضت فرنسة طلبهم خوفاً من التفاف الناس في تونس حولهم لعلمهم وفضلهم وجهادهم وأسبقيتهم في مقارعة الفرنسيين.

وقد رأى الفرنسيون ترحيلهم إلى دمشق، إبعاداً لهم عن شمال إفريقيا، وكان أن التحقوا بأخيهم الأمير عبد القادر سنة 1273 هـ.

اشتهر الأمير أحمد بعلمه وفضله في دمشق، فانعقدت له الدروس في جامع العنّابي في حي باب سريجة الدمشقيّ بين العشائين، وتحلّق الناس حوله ينهلون من علمه الجمّ، وله من المؤلفات:

1- (الجنى المستطاب والزبرجد المذاب) رسالة في السماع، وهي ردٌّ على من ادّعى أن سماع المعازف يحرك القلب لربّ الأرباب.

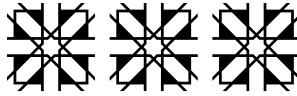
2- و(شرح على الأبيات التي أولّها: فأثبتت في مستنقع الموت رجله).

3- ورسالة على قول الإمام عليّ عليه السلام: «العِلْمُ نُقْطَةٌ كَثَرَهَا الجاهلون»، عنوانها: (نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة).

4- (نخبة ما تُسرُّ به النواظر وأبهج ما يُسَطَّر في الدفاتر). وهو كتاب موسع في التاريخ انتزع منه الشيخ جمال الدين القاسمي سيرة الأمير عبد القادر الجزائري وأودعها في موسوعته: (تعطير المشام).

مراجع للاستزادة:

- ✓ حيلة البشر 1 / 304-305.
- ✓ منتخبات التواريخ لدمشق 2 / 704-705.
- ✓ أعيان دمشق 414-415.
- ✓ تعطير المشام 65-71.
- ✓ الأعلام الشرقية 2 / 72 و 2 / 84 و 4 / 177.
- ✓ الأعلام 1 / 255.





منهج العلامة المفتي المالكي الأمير أحمد فيما كتب

امتاز منهج الأمير أحمد في كتاباته بالنقد الموضوعي:

مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ فِي عَرْضِهِ سِيرَةَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ انْتَقَدَ
مَوْقِفَهُ مِنْ وَالِي تَلَمْسَانَ، الَّذِي كَانَ سَبِيًّا فِي سُقُوطِهَا، وَكَانَ
يَرَى أَنَّ الْأَوَّلَى عَزْلُهُ لَانْفِضَاضِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ.

ومن ذلك:

عدم رضاه عن موقف الأمير عبد القادر من
المفاوضات بينه وبين فرنسة في جزئية ترسيم الحدود المؤقتة،
الذي أدى إلى سلسلة حروب كان من نتائجها تعاظم البلاء
والعذاب على الناس، والقضاء على الإمارة، وذلك بسبب
إصرار الأمير على عدم تنازله عن الفراسخ العشرة التي
طلبها الفرنسيون، وأصر على فرسخين أو ثلاثة حتى قال
الأمير أحمد في ذلك: «لِيتَه سَمَحَ لَهُمْ بِعَشْرَةِ فَرَاسِخٍ دَفْعاً لِمَا
يُمْكِنُ أَنْ يُلْحِقَهُ التَّوَحُّشُ الْفَرَنْسِيُّ الْمُحْتَلُّ بِالْبِلَادِ».

ومن مزاياه في كتاباته أنّه لم يفقد الجرأة على نقد الحاكم المستبدّ الطّاغي، وقد هاجم الولاة العثمانيين على الجزائر (الدايات)، لظلمهم الرعية وطغيانهم على الناس، وتمرّدهم على السلطان العثمانيّ، وهو لا يرى أنّ ظلّم الوالي منوطٌ بالسلطان، بل أحسن الظّنّ بالسلطان، وإنّ أساء من انتسب إليه.

وهذا المنهج الذي كان عليه الأمير أحمد من نقد الظالمين من الحكّام يعكس ما عليه السّادة الصّوفيّة في القرن التاسع عشر من جهادٍ ضدّ ولاة أمر المسلمين الظالمين، وضدّ المحتلّ الأجنبيّ الغازي، لا يُفرّق بين مسلم ظالم ومعتدٍ أجنبيّ، فقد قال: إنّ مملكة العدل مع الكفر أدوم من مملكة الظلم مع الإسلام.

ومما امتاز به منهج الأمير أحمد في كتابه: أنّه التزم منهج العلماء السابقين الذين كانوا لا يقيمون وزناً للعصبيات العرقية، أو القبليّة، فلا يفرقون بين عربي وبربري إلا بالتقوى، والوفاء لقيم الإسلام، فقد كان رحمه الله تعالى يذكر الخارجين على الأمير الذين أيدوا المحتل من قبائل البربر فيقول: البرابرة، كما هو الحال عندما يذكر الخارجين عليه من

قبائل العرب الذين أيدوا المحتل وناصروه أيضاً فيقول:
الأعراب، فيميز بين البربر الأمة القائمة، وبين البرابرة
العصاة، كما يميز بين العرب الأمة القائمة، وبين الأعراب
العصاة، وهذا مصطلح تجده في القرآن الكريم، فالعرب
والبربر شعوب وقبائل بفروعهم وألسنتهم انصهروا بتعاليم
الإسلام، فكونوا أمة عالمية أنتجت حضارة إنسانية، وما كنا
لندجأ إلى هذه المصطلحات التاريخية التي عفا عليها الزمان
إلا بعد أن استردت هذه الشعوب هُويَّتها العُليا، وهي الهوية
الجزائرية بعد تحريرها من الاحتلال، وذَكَرْنَا الشرح كيلا
يساء النظر فيما يراه القارئ في الكتاب من تسمية الأمم
بشعوبها.

وهذا المنهج أيضاً مما تضمنته كتابات الشيخ أحمد في
نظرته إلى الأمم الأخرى، لا يقيم وزناً إلا لقيم الحق والعدل
التي جاء بها الإسلام، فكان عنده المسلم الظالم، والمعتدي
الظالم في الميزان سواء، ولا شك أَنَّ هذه تعاليم القرآن
وروحه. وكثيرة هي العِبرُ التي يستخرجها المرءُ من النظر إلى
كتاب الشيخ العلامة أحمد بن محيي الدين (نخبة ما تُسرُّبه النواظر)
التَّام الذي أرَّخ من بداية دخول العرب إلى شمالي إفريقيا إلى

القرن التاسع عشر، وسنسعى في تحقيقه ونشره في المستقبل إن شاء الله.

نسخ منه الشيخ القاسمي عن الشيخ الجزائري تاريخ إمارة الأمير عبد القادر، وسنضع نماذج من أصل هذه الترجمة بخط القاسمي كي يقف القارىء عليها.

كما سنضع نماذج من مخطوطة (نُخبة ما تُسرُّ به النواظر) التَّام بخط مؤلفه الشيخ أحمد بن محيي الدين.

وتسجل هذه العلاقة بين الشيخين الأخلاق العالية الرفيعة التي كانت بين العلماء في القرن التاسع عشر، إذ لم يجد الشيخ القاسمي الأصوليُّ بأساً في أن يسأل الشيخ الصوفيَّ المالكيَّ الأمير أحمد بعض الفتاوى في الدين، ويستفتيه في بعض ما يعرض له، بل إنَّ القاسمي خطَّ كتاب (المواقف) للأمير عبد القادر بقلمه، وهو مستودع الحكمة وأسرار العرفان الربَّانيِّ، ومنها الآداب الرفيعة التي تحلَّى بها علماء الإسلام السابقون، نلاحظها عند الشيخ أحمد وهو يروي كيف منع محمد علي باشا والي مصر أخاه الأمير عبد القادر من الدخول إلى بلاده حين استنجد به من فرنسة،

ففي الكتاب يذكر ذلك بكل حيادٍ ووصفٍ مجرّدٍ، ولم يتعرض لوالي مصر محمد علي باشا بسوء لرفضه وساطة إخلاء سبيله وقبوله دخول مصر.

وإن كتابنا (نخبة ما تُسرُّ به النواظر) لمؤلفه الأمير أحمد، وكتاب (تحفة الزائر) لمؤلفه الفريق أول، الأمير محمد، نجل الأمير عبد القادر هما المرجعان الوحيدان اللذان أرّخا لحقبة الأمير، وهما شاهدان عاصرا حقبة الأمير: فنجد الأمير أحمد في كتابه (النخبة) شيخاً يكتب بلغة واقعية نقدية عمومية غير تفصيلية، فمثلاً لم يسمّ القبائل بأسمائها، لكنه ما ترك موقفاً إلا وذكرها.

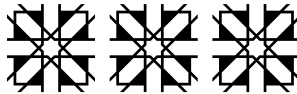
وأما الأمير الفريق أول محمد باشا فهو قاضٍ، حقوقيٌّ، ورجلٌ عسكريٌّ، وضع كتابه (التحفة) بلغة موضوعية تفصيلية تحليلية مقارنة بأقوال المستشرقين، مع عدم انتقاده لأبيه في بعض الأزمات السياسية لما يخص علاقة الأدب بين الابن وأبيه.

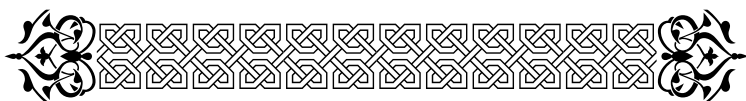
فجاء الكتابان شهادةً على الواقع، ودراسةً موضوعيةً، ونقديةً تحليليةً للأحداث وأخبار ما جرى،

وقد سبق تأليفُ كتابِ (نخبة ما تسر به النواظر) للأمير أحمد
كتابَ (تحفة الزائر) بسنواتٍ، كما سبق تأليف التحفة تأليفَ
موسوعة (تعطير المشام).

وتأملُ المؤسسةُ أنَّ تكون قد قدّمت في نشر هذا
الكتيب اللطيف الحجم زاداً معرفياً تاريخياً يمثل شهادة حيّة
موثقة تُنير جانباً من صفحات تاريخ الجزائر.

رئيس المؤسسة المؤقت
العبد القوي بالله
جعفر الحسني الجزائري





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ جمال الدين القاسمي

الأمير السيد عبد القادر بن السيد محيي الدين بن
السيد مصطفى بن السيد محمد بن السيد المختار الحسني
الجزائري، قدس الله سرّه العزيز.

فرع دوحة الشرف الزاهر، وطراز عصاة الحسب
الباهر، أمير المجاهدين في الأقطار المغربية، والقائم بنصرة
الدين بالهمم العلية، المشكورة في سبيل الله مساعيه الحسنة،
والمتفقة على كمال وصفه الآراء والألسنة، العريق في الرئاسة
والسيادة، والحقيق بارتداء الفخر والسعادة، الجامع بين
العلوم الظاهرة والباطنة، والمتضلع من أسرار المعارف
الكامنة، محيي معالم الجود والكرم، مجدد محاسن الأخلاق
والشيم، وارث رتب المجد كابرأً عن كابر، سلالة المفاخر

التي طاب أولها وزكا الآخر، محط رحال الفضلاء وموئل
القصاد والنبلاء، من طار صيته في سائر الممالك، ومشت
حصاة فضله في أقاصي العمران والمسالك، ومحاسنه شهد
بفضلها الخاص والعام، ومآثره ترتفع على الثريا وتكاثر
الغمام، قدس الله روحه، وجعل من الرحيق المختوم غبوقه⁽¹⁾
وصبوحه⁽²⁾.

لا ريب أن سيرة هذا الأمير تحتاج إلى تأليف كبير،
وقد بلغني أن أحد أنجاله⁽³⁾ الكرام ألف في ذلك كتاباً حافلاً
بديع الانتظام، بيد أنه لم تشرق من كنزه مطالعه، ولا
أسفرت من خزائنه طلائعه.

وقد يسر الله لنا⁽⁴⁾ صحبة أخي الأمير، المنوه به العالم
العامل التقى، والفاضل النحرير النقي، بهجة الشرفاء وتاج

(1) الغبوق: شراب العشي.

(2) الصبوح: شراب الغداة.

(3) هو الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، (1256-1331هـ)

وكتابه: (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر)، مطبوع في جزاين.

(4) هذا كلام الشيخ جمال الدين القاسمي.

اللطفاء، ذي المجد السني السيد أحمد الحسني حفظه الله تعالى
فلم تبحر تضيئي وإياه مجالس حسنة، فيما يقرب إلى الآن من
خمس عشرة سنة.

وكنا كثيراً ما نعطر مجامعنا بأريج سيرة أخيه الأمير
المشار إليه، ونتروح بعجائب تلك الوقائع التي مرت عليه.

ولما جمعت هذا التاريخ⁽¹⁾ أشرت على جنابه بجمع
ترجمة لسعادة أخيه الأمير، وما شاهده من سيرته في توليته:
﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [سورة فاطر، الآية: 14]، فانتدب
حرس المولى علاه، وصنف في ذلك كتاباً رقيقاً مبناه، رقيقاً
معناه، سماه (نخبة ما تُسرُّ به النواظر، وأبهج ما يُسَطَّرُ في
الدفاتر في بيان تولية ذي الكمال الظاهر والنسب الطاهر
سعادة الأمير السيد عبد القادر بن محيي الدين في إقليم
الجزائر)، وسبب تسليمه فيه مما ثبت لديه من الأخبار
الصحيحة التي حصلها، والحوادث التي شاهدها وأبصرها.

(1) هو كتاب: (تعطير المشام في مآثر دمشق والشام)، مخطوط في
الخزانة القاسمية.

وقد قلت في تقريره:

ذي نخبة سرت فؤاد الناظرِ
أبهى مآثر سُطّرت بدفاترِ
من سيرة المولى الأمير المجتبى
العارف الحسنّي عبد القادرِ
من أدهشت آثاره أهل النهى
وغدت بجيد الدهر عقد جواهرِ
يا طالما الفضلاء ودّت لو ترى
آثاره جُمعت بِسُفْرِ باهرِ
كما تُحلي فكرها أخباره
أيام دولته بقطرِ جزائرِ
وإذا النفوس تعطّشت لمؤلّفِ
في ذلك النّبأ العظيم الغابرِ
أمضى اليراع لذا أخوه
مجداً وفضلاً فوق كل مناظرِ
الحبر أحمد بهجة العلماء مَنْ
ورث المعارف كابراً عن كابرِ
فأبان متخباً عظيماً وقعه
لاحت به آياتُ صدقِ ظاهرِ

لا زال جامعُه يفيد لطائفاً
تُملى وتُتلى في رؤوس منابر
ما فاح طيب مآثر النبلاء مِنْ
روض المعارف بالكمال الوافر
وقدّم زيد فضله في طليعة الكتاب تقلّب الأحوال
على إقليم الجزائر بالإجمال، مما لا يستغني عنه المتعشش لتلك
الآثار التي هي من عجائب ما أبدعته يد الأقدار.
ولنذكر شذرة من عقدها الفريد تمهيداً لتولية الأمير،
وتتمياً لفائدة بنائه الحميد.

استيلاء العثمانيين على الجزائر وتونس

قال حفظه الله تعالى: لما امتدت دولة إسبانيا
للاستيلاء على إقليم الأندلس أرسلت للدولة العلية العثمانية
كبراء ذلك الإقليم يستنجدونهم، فأرسلت لهم نجدة عظيمة
إلا أنه أبطأ قدومها، فلما توسطت تلك النجدة البحر سمعت
بأن إسبانيا تغلبت على جميع ذلك الإقليم، فرجعت تلك
النجدة إلى الجزائر فملكها وسلكت تونس ومن وقتئذ

صارتا وجميع إقليميهما تحت الدولة العثمانية وقد كانت تلاشت دولة بني زيان الملقبين ببني عبد الواد من تلمسان، كما تلاشت الدولة الحفصية من تونس، وذلك في أواخر قرن التسعمئة ولما ملك العثمانيون الجزائر حولوا الهيئة الملكية من تلمسان إلى الجزائر لوقوعها على ساحل البحر فمعظم تمدنها بذلك زيادة على ما حصل لها من التمدن بسبب توطن مهاجري الأندلس بها وكانت قديمة قرية مخشوشنة تسمى بقرية بني مزغنة.

وبعد تمهيد العثمانيين لها وجعلها قاعدة ذلك الإقليم بدت بها الصنائع الغريبة والأشياء المزخرفة العجيبة، والأبنية المشيدة والأسرة المنضدة والحصون المنيعة، والقلاع الوثيقة، وقد جبي إليها خراج ذلك الإقليم مدة ثلاثمئة وسبع وثلاثين سنة، واستقر الملك بها في المدة المذكورة، وكانت في المئة الأولى وبعدها بقليل تحت إدارة الدولة العثمانية بحيث إن واليهما يتولّى من طرفها ويعزل بأمرها، وكانت سيرتهم في ذلك الإقليم وقتئذ محمودة لعدولهم في الرعية وحسن سياستهم، ثم بعد ذلك استقل أولئك الأتراك الذين توالدوا

بإقليم الجزائر، ولم يبق بينهم وبين الدولة العثمانية اتصال إلا بالخطبة باسم السلطان العثماني، وضرب السَّكَّةِ⁽¹⁾ باسمه، وصاروا يولون الوالي مدة، ثم إذا شاؤوا قتلوه، وولّوا غيره.

ومن غريب ما اتفق لهم أنهم في يوم واحد ولّوا سبعة ولاة، ينصبون واحداً، ثم يعزلونه ويقتلونه، ويولون غيره، وهكذا واحداً بعد واحد، ولم يتم الأمر إلا للسابع، ثم طغت تلك الأمراء، وتجبرت آخر أمرها على الرعية، وأكثرت من الظلم والعدوان وسفك الدماء بغير حق، وعثت في الإقليم وفسدت، فأهلكت الحرث والنسل، ولا سيما قبيل انقطاع دولتها، فقد اشتد ظلمها غاية الاشتداد حتى بلغ النهاية، وذلك علامة على الخراب سريعاً كما هي عادة الله تعالى في خلقه، يقال: إن الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 16] ثم انتقم الله تعالى من أولئك الظلمة، وشتت شملهم، وأصبح

(1) السكة: النقد.

مُلْكهم هباءً مَثُوراً وقد كانت لها الرُّفْعَةُ⁽¹⁾ والسطوة العظيمة في ذلك الإقليم براً وبحراً، حتى إن مراكبها كانت كلما صادفت مركباً من المراكب الإفرنجية في البحر، أو رآته من بعيد تتوجه إليه ثم تطلق عليه صواعقها النارية فتفرقه أو تغنمه، وقد عظمت سطوتها في البحر على جميع الدول الأوروبية، وكانت مراكبها مصحوبة بالظفر والنصر أينما توجهت بحيث إنها لا تكسر لها راية في البحر أصلاً، وبذلك عظم طغيانها، وربما غزت مراكبها بعض الجزر البحرية، فتغنم ما فيها، وتحملها مع أهاليها أسرى إلى الجزائر، وقد تقصد مراكبها بعض المحلات المهجورة من البلاد الإفرنجية، فتخرج منها ليلاً إلى بعض ضيعهم القريبة من البحر، فتفعل مع أهلها ما تقدم وترجع، وفي يوم دخولها تجعل لها زينة عظيمة بالبلد، وتصلب رئيس الضيعة أو المركب الذي غنمته، وتجعله بصدر السفينة عند الدخول ليراه الناس مشنوقاً، ثم لما أكثرت من ذلك الفعل، واشتد ذلك على الإفرنج، وعظم لديهم، إذ كانت أسرت منهم خلقاً كثيراً.

(1) أي: مدينة الجزائر.

هجوم الإنكليز على مدينة الجزائر

بسبب ذلك جاءت الدولة الإنكليزية إلى الجزائر قاصدة الانتقام، وأظهرت صورة السلم، ونصبت علامتها، وأشهرتها مكرراً وخديعة فأذن لها في الدخول إلى المرسى، فدخل ثلاثة مراكب من مراكبها الحربية، وكان ذلك النهار يوم عيد، والناس على غاية ما يوجد من السرور، ثم بعثت مكتوباً لوالي الجزائر عمر باشا، وانتظرت جوابه بسرعة، وكانت جعلت له أجلاً لردّ الجواب، ثم ما لبثت تلك المراكب إلاّ برهة يسيرة بعد وصول المكتوب إليه، وبمجرد قراءة المكتوب، وأمر الوالي بردّ جوابه، وإذا بالصواعق النارية أرسلت متتابعة بعضها إثر بعض بلا فترة، متعللاً أصحابها بعدم السرعة في ردّ الجواب، ولدخلوها تحت المرسى لم يتمكن لقلاع البلد تفريقها، إذ كان المرمى يتجاوزها، فحصل بسبب ذلك للأهالي وللحكومة اضطراب عظيم وتشويش بليغ، ولا سيما أنه قد حصل ذلك على غفلة وعدم أهبة حتى اضطروهم الحال إلى أن صاروا ينزلون المدافع من بعض الحصون بالحبال لأجل أن يتمكنوا من ضرب تلك المراكب

وإصابتها، وصارت الأهالي تضرب ما ظهر من نواتئ تلك المراكب وعساكرها بالبواريد، فلم يغن إطلاق الرصاص من الأهالي عنهم شيئاً، وقد خَرَبَتْ تلك المراكب مع قتلها جملةً من البيوت المرتفعة وبعض شواحق الحصون، ثم وقع الصلح بينهما على أنهم يُسَلَّمُونَ إليها جميع ما في الجزائر وبجاية من الأسرى، وإن كانت من غير دولتها، ثم خرجت تلك المراكب من المرسى؛ إذ لا قدرة لها على أكثر ما فعلت، ولا غرض لها أزيد من ذلك إذ لا يمكنها هي ولا غيرها أخذ الجزائر وقتها، لأن قلوب الأهالي كانت لم تتفق على بغض حكومتها حيث إن الظلم كان خفيفاً يمكن للرعية تحمله، ولا يمكن لدولة من الدول أن تستولي على إقليم من الأقاليم مع اجتماع كلمة أهله، ولو بلغت ما بلغت من القوة إلا نادراً.

هجوم إسبانيا على الجزائر

وقبل هذه الواقعة كانت جاءت دولة إسبانيا إلى الجزائر، وأنزلت عساكرها إلى البر، فخرجت إليها عساكر الجزائر، واجتمعت الأهالي على جيوشها فانكسرت، وقُطِعَ

دابرها، وغنم المسلمون جميع ذخائرها التي أخرجوها إلى
البر، ورجعت مراكبهم منكسرة الشوكة مخذولة.

❦ الخلاف مع فرنسا ❦

ثم في سنة 1245 هـ وقع الخلاف بين والي الجزائر
حسين باشا، وبين قنصل دولة فرنسا بسبب يهودي كان
داخلاً تحت حمايتها، فتكلم القنصل مع الوالي في شأنه بكلام
أجأه الغضب منه إلى أن ضربه بمروحة كانت في يده بمجلس
حكومته، فامتألت صدور دولته من تلك الإهانة، وراسلت
السلطان محمود خان بذلك / 488 / الفعل لما له من السيادة
على حكومة الجزائر فبعث مكتوباً لذلك الباشا يُقَبِّح فيه فعله
الشنيع وُصْنَعُهُ الفظيع، ويأمره بأن يستجلب ذلك القنصل،
ويفعل معه من الإحسان ما ينجبر به كسر قلوب دولته
بسبب تلك الإهانة الواقعة على رؤوس الأشهاد، فلم يمتثل
لأمره ونبذ كلامه، فغضب عليه غاية الغضب زيادة على
غضبه السابق على تلك الحكومة، وقال للدولة الفرنسية: إن
أولئك الأشرار قوم عصاة مستقلون بأنفسهم فشأنكم
وشأنهم، وليته لم يقل.

وسبب غضبه عليهم قبل ذلك؛ هو أن الدول⁽¹⁾ الأوروبية اتفقت جميعاً على أنها تجري القوانين السياسية التي⁽²⁾ تحكم بها، واشترطت على السلطان محمود أن يمشي ذلك في جميع رعيته، ويأمر جميع الأقاليم التي له عليها السيادة أن يجروها ويحكموا بها، وأن يتخذوا الهيئة العسكرية، فبعث إلى الدولة المصرية وإلى الدولة التونسية وإلى الدولة الجزائرية، فامتنعت الدولة الجزائرية الامتناع التام، وأنكرته كل الإنكار، ولا سيما حين رأت ذلك اللباس المُجَسَّد للعورة، وتلك الهيئة التي لم تكن مألوفة عند الإسلام.

إن مأمور السلطان لما دخل الجزائر أمر بدق الموسيقى⁽³⁾ العسكرية في تلك المراكب التي جاءت معه، فبعث إليهم والي الجزائر وقال لهم: إما أن تتركوا ذلك الدق ما دمتم في إيالتي (دولتي)، وإلا أمرت بتغريقكم. فلما رجع

(1) في الأصل: (الدولة).

(2) في الأصل: لا توجد كلمة (التي).

(3) في الأصل: (الموسيقا).

ذلك المأمور وأخبر السلطان بما شاهده منه ومن أهل مجلسه من الإنكار وشدة الامتناع غضب عليهم غاية الغضب، ولولا أنه كان مشغولاً بقتال الينكجيرية وقرب عهده بمحاربة الموسكوف لبعث جيشاً لمحاربة حكومة الجزائر، وانتقم من ذلك الوالي وحزبه.

فرنسا تطلب إلى محمد علي والي مصر الوساطة مع الجزائر

ثم إن الدولة الفرنسية لما كبرت عليها تلك الإهانة، وعظم في عينها محاربة الجزائر لما كانت عليه من الصولة وقوة القلب والشجاعة، ذكرت لمحمد علي باشا والي الديار المصرية ما فعله والي الجزائر مع قنصل دولتها، والتمست منه أن يكتب مكتوباً لها بالمصالحة بينهما وأنه... يُوطئ نفسه بما فعله مع سفيرها، وأن يقبل التنظيمات التي بعث السلطان بها إليه.

فكتب إليه محمد علي باشا بأن ما فعلته من ذلك الفعل تأباه السياسة وكمال العقل واستدرك الأمر قبل تفاقمه

عليك، ومن المؤكد به عليك على وجه النصيحة أن تستجلب ذلك الشخص، وتعتذر إليه بكل اعتذار، وتجبر خاطره لتجبر قلوب دولته، وإلا فلتعلمن بناء ما فعلته بعد حين. فأجابه لشدة فظاظته بما لا يستحسن ذكره عند ذوي / 489 / العقول من الكلام الوحشي، وذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فإن الحق تعالى إذا أراد أمراً سلب ذوي العقول عقولهم ولذا يقول بعضهم⁽¹⁾:

أراد أمراً سلب ذوي
أراد أمراً سلب ذوي
إذا أراد الله أمراً بامرئ
وكان ذا عقلٍ وسمعٍ وبصر
أصمَّ أذنيه وأعمى قلبه
وسلَّ منه عقله سلَّ الشعرُ
حتى إذا أنفذ فيه حكمه
رد عليه عقله ليعتبرُ

(1) الأبيات بلا نسبة في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 131/ 16.

تسلط الفرنسيين على الجزائر

ولما أيسست الدولة الفرنسية من رجوعه عن طغيانه لقلعة عقله وشدة صلابته وعظم حمقه وسوء تدبيره وقلعة معرفته لإقبال نحسه، جمعت جيشاً يبلغ عدده ثمانين ألفاً، وهو وقتئذ غاية مقدورها بحيث إنها لم تترك في جميع مملكتها إلا شيئاً يسيراً من عساكر مما لا بد له منه للمحافظة، وقصدت الجزائر، فأطلقت صواعقها النارية عليها من البحر، فقابلتها الجزائرية بمثلها أو أعظم إلى أن صار النهار ليلاً من كثرة الضرب وتتابع الصواعق من الجهتين، ولما لم تستفد الدولة الفرنسية من ذلك الضرب شيئاً، كرت راجعة إلى وراء، وتغيبت مدة أيام في البحر، ولسوء التدبير والتساهل في الأمور وعظم الغفلة وعدم اتخاذ الحزم، لم تبعث الدولة الجزائرية مركباً من مراكبها ليكشف لها خبر تلك الأساطيل والجيوش، وتقف على قصتها كي تتخذ ما يلزمها من الاحتياطات اللازمة، وتجعل حرساً في جميع الجهات، وفي جميع المظان التي يخشى خروج العدو منها، بل غفلت كل الغفلة اعتماداً على ما أظهرته لها من شدة الضرب والشجاعة وقوة القلب، وظنت أن تلك الدولة انكسرت، وأنها رجعت

إلى بلادها، وسبب ذلك التساهل هو أن الدولة الجزائرية لم يبق لمراكبها حَزْمٌ بعد وفاة رئيس مراكبها وزعيمها المقدم أمير البحر الرئيس حميد الزواوي عليه رحمة الله.

وسبب موته هو أن المخابرة كانت مقطوعة بين دولة أمريكا وحكومة الجزائر، فجاء من الدولة المذكورة أربعة عشر مركباً من القِطْعِ الكبيرة التي تمشي بالهواء ونشر الشوارع⁽¹⁾ والقلاع، وذلك قبيل اختراع البوابير⁽²⁾ وانتشارها بين الدول الأوربية، وقابلت الجزائر وجالت أمامها يميناً وشمالاً على البعد منها ترهيباً لأهلها. فلما أخبر بها والي الجزائر أمر الرئيس المذكور بالخروج إليها فقال له: إن الوقت غير مساعد للخروج ولا للضرب، فألزمه الخروج فخرج في جملة من المراكب، واشتطت النيران الحربية بين الفريقين فكانت الدائرة على المذكور، فاستشهد على مراكبه⁽³⁾، فغنمتهامريكا.

(1) أصله شراع السفينة، وجمعه أشرعة، وشرع.

(2) البوابير: القوارب الصغيرة، أو مراكب ملكية خاصة، وهي كلمة أعجمية ليس لها أصل في المعاجم العربية.

(3) ربما كان المقصود استشهد على مراكبه، والواو زائدة.

وبعد هذه النكبة لتلك الدولة وقع ما وقع بين فرنسا وبينها ثم إن الجيوش الفرنسية لما توسطت البحر اجتمع رئيسها مع كبرائه، وفكروا في أمرهم عند قصدهم معاودة ضرب الجزائر والانتقام من واليها وقالوا: لا يكون لنا تدبير مصيب للغرض ونهاية في المطلوب من كوننا نستغفلهم، ثم ننزل⁽¹⁾ عساكرنا إلى البر، ونجعل لها استحكامات، ثم نحاربهم فيه، وتكون مراكبنا بإزائنا، إذ محاربتنا لهم من جهة البحر لا نستفيد منها سوى الحرمان ومزيد الخسران، لما للبلاد من التحصن وقوة التمكن، وإنما يأتونها من بعض الجهات البرية، فرجعوا ليلاً وقصدوا⁽²⁾ محلاً مهجوراً يسمى بسيدي فرج بينه وبين الجزائر أربع ساعات من الجهة الغربية، وأنزلوا عساكرهم فيه واتخذوا لها ما يلزمها من الاستحكامات، فما أصبح النهار إلا وكان ذلك المحل مملوءاً بالعساكر الفرنسيين⁽³⁾، فإنهم أنزلوا ستين ألفاً، وأبقوا في

(1) في الأصل: (نزل).

(2) في الأصل: (مقصدا).

(3) في الأصل: (فرنسوية).

المراكب منها ما أبقوا، فخرجت عليهم العساكر الجزائرية، وكانت قليلة جداً؛ إذ كان جميع ما عندهم من العساكر في ذلك الإقليم يجمعه ثمانية عشر ألفاً من الأتراك وأولادهم، وكانت مفرقة ذلك العدد على جميع مدن الإقليم، وتحارب بهم مع عساكرها، فجمعت ما تيسر عليها جمعه، وخرجت فالتقى الجمعان واقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزمت الجيوش الجزائرية الأتراك⁽¹⁾، وتقدمت الفرنسية بعض التقدم، وزاد الأتراك خُذلاناً بُغِضُ أصحاب الإقليم لهم بما أبدوه من الظلم الفاحش للرعية، ولرؤساء الأقاليم في آخر أمرهم كما قدمناه، وبسبب ذلك نفرت منهم القلوب جميعاً مع ما كان يرسله رئيس الجيوش الفرنسية من المخادعات، وتارة يلقيه في الطرقات أثناء المحاربة ليصل إليهم، من أنه إنما أتى بأمر من قبل السلطان محمود ليأخذ حسين باشا إليه، ويرد إليهم واليهم السابق، فغَرَّهم كل الغرور بهذه المخادعة وثبطهم بها، وفرق كلمتهم بسببها، فلم يجتهدوا في المحاربة كل الاجتهاد، وصار بعضهم يتقدم للمحاربة مجتهداً ناوياً للجهاد والدفع

(1) المقصود الحامية العثمانية التركية.

عن الوطن والبلاد، وبعضهم يقول: لا مقتضى لهذه
المحاربة حيث إن باشا ذاهب وآخر قادم.

ثم وقع الحرب بين الفريقين ثانياً، واشتد غاية
الاشتداد وجاءتهم جموع قبائل، وطلبت من الوالي إعادتهم
بالأسلحة والبارود، فلم يرض أن يعينهم، وقال لأحمد باي
والي المدينة لما طلب منه ذلك إليهم: قل لهم أن يضربوهم
بالحجارة ويهجمون عليهم بالعصي، فإني لا أقوى هؤلاء
البرابرة بالأسلحة والبارود، إذ ذلك خلاف الحزم. ثم اقتتلوا
بعد ذلك، فانهزمت الجيوش التركية انهزاماً فشلت به كل
الفشل، وتقدمت الجيوش الفرنسية من البلد، فعند ذلك
تيقن والي الجزائر وحزبه اضمحلال أمرهم، وأصبحوا آيسين
من النجاح، وتقطعت بهم الأسباب، فما وسع الوالي إلا أن
بعث مفتي الجزائر في جملة من أعيانها إلى رئيس الأساطيل
البحرية ليؤمنه ويؤمن الأهالي من السبي والنهب، فذهبوا
إليه وكلموه في ذلك، فأجابهم بأن الأمر كان قبل نزول
العسكر إلى البر مفوضاً إليّ، وأما الآن فهو بيد رئيس الجيوش
البرية، فرجعوا من البحر، وذهبوا إليه، وطلبوا منه الأمن

والأمان للوالي المذكور وللأهالي، وطلبوا منه أن يتعهد إليهم بأن الدولة الفرنسية تقرهم على عوائدهم الإسلامية، وتبقي لهم شعائر دينهم، وألا تتعرض لهم في أمر ديانتهم بشيء، فأجابهم بالقبول إلى جميع ما طلبوه منه، وكتب لهم صكاً⁽¹⁾ وختمه على التعهد بما اشترطوه، فرجعوا إلى الوالي، وأخبروه بما وقع من اشتراط الاطمئنان العمومي، فحينئذ فتحت الأبواب للعساكر الفرنسية⁽²⁾ فدخلت، وكان ذلك اليوم أنحس الأيام على ذلك الوالي وحزبه.

واستلمت الجيوش الفرنسية⁽³⁾ القلاع والحصون، واستولت على البلد وما بها من الذخائر والنقود التي كانت تجبى إليها من مدة ثلاثمائة وست وثلاثين سنة.

وكان من الغرائب أن الدولة التركية لم تثبت في النزال إلا مدة عشرين يوماً، وكان المظنون بل من الأمور المحققة أن الجزائر لا تؤخذ منهم إلا بعد دوام الحرب شهوراً متعددة، لما

(1) في الأصل: (صطاً) وأثبتها في المتن: (صكاً) لأن هذا هو المشهور.

(2) في الأصل: (فرنسوية).

(3) في الأصل: (فرنسوية).

هو مشهور لدى العموم والخصوص من شجاعتهم وقوة
قلوبهم التي اكتسبوها من خاصية ذلك الإقليم، وهذا هو
الذي أوهم ذلك الوالي وأعماه حتى فعل ما فعل ولم يسمع
كلام السلطان محمود ولا نصيحة محمد علي باشا، وأظهر ما
أظهر من الفظاظة وشدة الغلظة، وأوهمت غلظته الدولة
الفرنسية⁽¹⁾ وظنته أنه على شيء مع ما كان يُسمع عن تلك
الحكومة من الشجاعة وقوة الحزم.

وبسبب ذلك تأنت كل التآني وصبرت كل الصبر،
ولم تبادر بالحرب خشية أن تعجز عن مطلوبها، ولا يتم لها
مرغوبها، حتى رفعت أمرها إلى السلطان محمود مع علمها
بأن تلك الحكومة مستقلة بنفسها بلا شك، ولا ريب،
وطغيانُ أتراك الجزائر وظلمهم لرعيّتهم هو الذي أوجب
خذلانهم وخسرانهم واضمحلال أمرهم، وقد قيل⁽²⁾:

(1) في الأصل: (فرنسوية).

(2) التبيان لأبي الفتح البستي في ديوانه ص 81، تحقيق درية الخطيب
ولطفي الصقال، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق 1989م، ورواية
البيت الثاني فيه:

عليك بالعدل إن وُلِّيتَ مملكة

واحذر من الظلم فيها غاية الحذر

فالمُلك يبقى مع عدلِ اللئيم ولا

يبقى مع الجور في بدوٍ ولا حَضر

وكانت نفوسهم تحدثهم بأن لا أحد من الدول يقدر

عليهم، وأن الشجاعة التي كانت تظهر منهم إنما هي من

نفوسهم، ولم يعلموا أن تلك الشجاعة إنما جاءتهم من أهل

الإقليم والتفاتهم إليه لما كانوا عليه أولاً من العدل واتباع

الشرعية المطهرة، وإظهار السياسة التامة، فلما رفضوا ذلك

رفضتهم قلوب الأهالي، فلم يبد من شجاعتهم شيءٌ لا كليٌّ

ولا جزئي، ولا انتصروا يوماً واحداً في محاربتهم في البر عند

خروج الجيوش الفرنسية⁽¹⁾ إليهم ومحاربتهم لهم فيه،

وأخذت منهم الجزائر في برهة يسيرة مع شدة شكيمتهم وقوة

ثباتهم، وادعائهم أن لا أحد من جميع الدول يقدر عليهم.

فالعدل يقيه أنى احتل من بلد

والجور يفنيه في بدو وفي حَضر

(1) في الأصل: (فرنسوية).

الاستيلاء على وهران وغيرها

ثم إن الدولة الفرنسية لما استولت على الجزائر بقيت ستة أشهر بها، ثم وجهت بعض المراكب إلى وهران وبعضها إلى بونة فملكتهما، ولما أرسلت المراكب على وهران شرعت الأهالي في نهب الأشياء التي تخص الدولة التركية، ووالي وهران يشاهد ذلك ويراه، وهم يقتسمون الدواب والذخائر ولا يقدر هو، ولا أحد من حزبه يتكلم في ذلك، وقد أنزل الحق تعالى الأتراك منزلة لم يكونوا يعهدونها، ولا كانت تخطر ببال أحد من الناس؛ إذ كان لهم من الهيبة والعظمة والإجلال ما لا يعبر عنه لسان، والموجب لذلك كثرة الظلم الذي تردوا به حتى صار شعاراً لهم، ولذلك حل بهم الويل والنكال، فسبحان من أبى العظمة والكبرياء لغير وجهه الكريم.

ثم إن الدولة الفرنسية لما استولت على غالب أساكن⁽¹⁾ إقليم الجزائر كوهران، ومستغانم وبونة وبجاية وغيرها قنعت بها ولم يخطر لها خاطر في تملك بقية المدن البرية

(1) المقصود بالأساكن: مرافئ السفن، واحدها إسكيلة.

أصلاً لعظم جهلها بالإقليم وأهلها، حتى أنها رَغَبَتْ حاكم تونس في أنها تُسَلِّمَ إليه وهرانَ مع كونها أعظم أساكن ذلك الإقليم بعد أسكلة الجزائر، لتكون الدولة التونسية والوقاية لها من شرور أهالي ذلك الإقليم، لكون الإسلام يجمعهم حيث إنها في ذلك الوقت لم تكن لها نية التملك بعد ذلك، فبعثت الدولة التونسية خير الدين باشا إلى وهران، فلما وصلها بعث لبعض الرؤساء من وجوها ولكبراء الدوائر وتكلم معهم في ذلك فأبوا، ولا سيما حين رأوه متهيناً بالهيئة الإفرنجية في اللباس والمأكل، وكانوا يكرهون تلك الهيئة وينكرونها كل الإنكار وبسببها أعرضوا كل الإعراض الكلي وصار عندهم كالمسخرة، وظنوا أن مجيئه خديعة لهم من الفرنسيين⁽¹⁾، وبقي مدة ينتظرهم فلما لم ير منهم أدنى توجه ولا إقبال رجع من حيث جاء.

ثم إن المدن البرية بقيت فوضى في ذلك الإقليم بعد استقرار الدولة الفرنسية⁽²⁾ في أساكن الإقليم واشتعلت

(1) في الأصل: (فرنسوية).

(2) في الأصل: (فرنسوية).

النيران الحربية فيه من جميع الجهات بالقتل والنهب والضرب والخراب والسلب وانقطاع السبل بأخذ الأموال وقتل الرجال ودام الحال على هذا المنوال أربع ساعات بحيث لا أمر يأمر بالمعروف ولا ناهياً ينهى عن المنكر، ولو وجد لا يسمع لقوله ولا يلتفت لنهييه. وشت الأعراب الغارات على بعضهم بعضاً، وحصروا المدن التي بالإقليم من جميع الجهات، وكذلك برباب الإقليم أكثرت من التعدي على من يجاورها فكثر الهرج والمرج وأصبح الناس في ضنك وحرَج، اشتد الحصار وعظم الضيق والشدة والبوار حتى بلغت القلوب الحناجر، فلما رأى ذلك ذووا الرأي السديد والعقل الكامل الحميد أجمعوا على أن يدبروا أمراً يصلح به شأنهم وتجتمع به كلمتهم ويلتئم شملهم، ثم اتفقوا على أن يسلموا الإقليم لسلطان مراكش السلطان عبد الرحمن بن هشام، فذهب جمع منهم إليه، وطلبوا منه، ذلك فأجابهم لما طلبوه، وأعطاهم جيشاً فدخل مدينة تلمسان ومعسكر وغيرهما من بقية المدن، فأمروا ونهوا في الإقليم مدة شهور، ثم صدر الأمر إليهم من ملكهم أن ارجعوا فرجعوا بعد أن لبثوا مطمئنين

مدة سبعة أشهر وما يقرب منها، ثم خرجوا من الإقليم بلا سبب ظاهر، وعند خروجهم أخذوا جميع ما وجدوه من الأشياء التي كانت تخص الدولة التركية من الخيول وغيرها مما علموه ويخف عليهم حملها، ولم يتركوا إلا المدافع التي كانت بالأسوار، فإنهم لم يتعرضوا لها لثقلها ولئلا يظهر لأهل الإقليم تخليهم عنه فيحصل تشويش، وربما تقع فتنة بسبب ذلك. والذي يظهر أن خروجهم كان بواسطة تكلم الدولة الفرنسية مع ملكهم بأننا بصدد الاستيلاء على جميع ذلك الإقليم، وها نحن قد استولينا على غالب أساكنه، وكيف بك بعثت جيشك إليه، وبذلك صدر أمره برجوع خيوله التي كانت في الإقليم فرجعت ولا سبب غير هذا يظهر، والله أعلم. وصفة رجوع ذلك الجيش هو أن رئيسه أمر بحضور جميع ما في الإقليم من الخيول، وأشاع أنهم غازون على أعراب آخر بمحل آخر، وهكذا إلى أن خرجوا من الإقليم جميعه بلا أدنى مكدر، ودخلوا في إقليمهم، ولولا احتياهم على الخروج بهذه الكيفية لحصل لهم غاية التكدير لو استشك برجوعهم أهل الإقليم وتخليهم.

رغبة الأهالي في تولية الأمير عبد القادر

ثم لما رأى أصحاب الإقليم ذلك الفعل فكروا في أمرهم لعلهم يقعون على رجل منهم يصلح به شأنهم، وتجتمع به كلمتهم من أهل الإقليم، فلم يجدوا بيتاً⁽¹⁾ مشهورةً لديهم أهله، مسموعة الكلمة لدى الخاص والعام في جميع ذلك الإقليم، جامعة للغنى والعلم وتمام الفضل وكمال الفروسية من قديم الزمان إلا بيت السيد عبد القادر بن المختار الحسني، ولا شخصاً معظماً عند أهل الحضرة والبوادي يتفق جميع أصحاب الإقليم على كماله وفضله، وهو أهل للرئاسة وشروط الإمامة متوفرة فيه، وله أعوان وأنصار على نصر المظلوم وكف الظالم عن ظلمه سوى السيد محيي الدين بن السيد مصطفى من أولاد السيد المذكور وخلاصة ذريته، فجاءوه وطلبوا منه أن يتولى أمرهم ويبياعوه على السمع والطاعة على أن يقيم فيهم الحدود الشرعية، ويكف الأشرار عن شرهم، وأن يزجر المتغلبين ويردعهم على

(1) أي قبيلة.

عتوهم وغييهم، فامتنع من ذلك كل الامتناع، فألحوا عليه
المرّة بعد المرّة، وكلما طلبوه يتعلّل بأشياء ككبر السن وغيره لما
يعلمه من أن الإمارة شأنها عظيم وخطبها جسيم، وتحملها
يسلب الراحة عن القلب، ويجلب له المصائب والهموم،
ويوجب تشتيت البال والنكد والغموم وهو في غنى عن
رئاسة التولية والشغل بها لوافر غناه وسماع كلمته في إقليمه
وعظّمته في قلوب أهله على ما هو بصدده من التفاته لمولاه
ونظره في عقباه، وكان سنه وقتئذ يقرب من الستين سنة،
ولذلك لم يرض التولية لنفسه بل ولا رضي بها لولد من
أولاده، وكلما سأله ذلك له أو لولد من أولاده ينكر ذلك
عليهم ويأباه، وقد تكرر الطلب منهم له مدة ثلاث سنين،
فلم يجب أحداً منهم.

فلما كثر الهرج والمرج وازداد الضيق على المساكين
والضعفاء وعظم الهرج، وتكرر الإلحاح عليه المرّة بعد المرّة
وصار أمر الإقليم إلى التلاشي والاضمحلال، وانقلب إلى
أسوأ حال، إذ قد انسدت الطرقات، وتوالى الخسرات، ولا
معين للضعيف، ولا ناصر إلا الحق جل جلاله، أجابهم

مطلوبهم ووعدهم بأنه سيفعل، إذ رأى الأمر قد تعين عليه،
فصمم على الإذن في الإمارة لولده المعظم الكامل السيد
الأمير عبد القادر لما رأى فيه من النجدة وتمام الشجاعة
والفروسية وقوة القلب والتأني في الأمور والتؤدة في المصالح
والثبات في الخطوب العظام، وكمال العقل وزيادة المروءة
والفضل.

استشهاد ابن أخي الأمير **السيد أحمد في غزوة وهران**

وقد كان جريه في الغزوات التي كان يحضر معه فيها
ولاسيما في الغزوة التي مات فيها السيد أحمد المجاهد ابن
السيد محمد السعيد أخي الأمير، فقد أبدى الأمير فيها من
الشجاعة والثبات وقوة القلب ما شاع وذاع لدى الكُمَّل
والرعاع، وذلك أن السيد محيي الدين والد الأمير عبد القادر
جمع جموعاً من الأهالي، وذهب بها غازياً وهران ومعه أولاده
الثلاثة السيد محمد السعيد والسيد عبد القادر صاحب
الترجمة والسيد المصطفى وابن ابنه الشهيد المذكور، وفي أثناء

الطريق مرض السيد محيي الدين، ورجع فذهب أولاده المذكورون بذلك الجمع، وغارت بعض الخيول على من خرج من البلد فأصاب خيلاً وبغلاً وبقرًا وقتلت من صادفته ثم قربت تلك الجموع من البلد، فأغلقت أبوابها، ووقعت الحرب مناوشة بينهم على الأسوار، وأطلقت عليهم بعض المدافع من البلد، فتزحزحوا عنها يسيراً، ثم أصابت رصاصة الشهيد المذكور، فوقع على الأرض من فرسه، فرآه والده، فتقدم نحوه، ووقف على رأسه، فنطق بالشهادة، ثم فارق الدنيا، وبقي والده واقفاً عنده متحيراً، لا يدري ماذا يفعل حيث لا قدرة له على حمله لنحافة جسمه، ثم لحقه الأمير، ونزل من فرسه وحمله مع جلاله الخطب وشدته، ثم لحقها جملة من الفرسان الحشم، ووقفوا في وجه العدو حتى حملوه على بغل وقد تعجب الحاضرون⁽¹⁾ من اقتحام الأمير ونزوله عن ظهر فرسه من شدة الأمر، ولم يتركه للأعداء تمثل به، وكانت المدافع تطلق عليهم نيرانها وخيول العدو وعسكرهم ومدافعهم متوجهة إليهم من البلد، ثم وقعت

(1) هنا تميزت قدرة الأمير البدنية، وشجاعته.

المحاربة، فكرَّت خيول المجاهدين راجعة إلى وراء، فلحقهم
خيول من العدو، فقتل المجاهدون جميع الخيول التي لحقتهم،
ولم تدم محاصرتهم للبلد إلا مدة قليلة لعدم وجود السيد محيي
الدين معهم.

ولما رأى أصحاب ذلك الغزو ما رأوه فيه من
الشجاعة والثبات حيث إنه لا يمكن أن ينزل واحد عن ظهر
فرسه في مثل ذلك الموطن إلا القليل عظم في قلوبهم وطلبوه
من والده بالخصوص، وأن يأذن له في الإمارة والتقدم، فركن
لمطلوبهم إلا أنه لم ينشرح لذلك كل الانشراح لصعوبة
الأمر وجلالة الخطب.

ثم إنه لما غزوا وهران آخر غزوة، وكان أصيب فيها
من الخيول سبعون فرساً لجموعه، إذ كان قبل تولية ولده
الأمير المترجم بجيش الجيوش، ويجمع الجموع، ويغزو بها
وهران، ويحاصرها الأيام والليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى
محلّه بالقيطنة خارج مدينة معسكر حضر لديه جمع من
رؤساء الإقليم وكبرائه ممن لهم فيه الحل والربط وقالوا له: قد
استحسننا أن تبعث معنا السيد المذكور لنذهب به إلى مدينة

معسكر، ونجمع من كل بيت منها ريالاً للمجاهدين الذين ماتت خيولهم ليشتروا بدلها، فأجابهم إلى ذلك ولم يخطر بباله أنهم يبايعون ولده في ذلك النهار، وإنما كان مراده والله أعلم أن يبعث لرؤساء الإقليم، فتجتمع كلها كعادتها في المهمات، ثم يقدم إليهم ولده فيبايعوه.

مبايعة الأمير

غير أن أولئك الرؤساء لما فهموا من سعادته الركون لما طلبوه منه أخذوا الأمير، وتوجهوا به إلى معسكر في موكب عظيم، فلما قربوا منها نزلوا في محل خارجها، واستحسنوا أن يعقدوا له البيعة في ذلك المحل، إذ كان المحفل مشتملاً على أغلب علماء الإقليم وذوي الهيئات والكمال منهم وأهل الحل والربط من مشايخ العرب ووجوه مدينة معسكر ويبايعونه بيعة خاصة، ففعلوا، وبايعه جميع من كان بذلك المحفل خارج البلد وكتبوا له البيعة، وقرأ كل واحد منهم ما كتبه على ذلك الجمع. وكان ذلك بأوائل رجب سنة 1248 هـ، وبعثوا للبلد، فأحضروا الطبول، ثم اجتمعت عليه جموع من

تلك الجهات، وأدخل البلد والطبول تدق أمامه، وهم على غاية من السرور، فلما دخل المدينة أطلقت المدافع من أسوارها إعلاناً بتوليته وفرحاً بما وقع من اجتماع كلمة الموحدين⁽¹⁾.

ثم بعد أن ثبتت البيعة لسيادة الأمير بما فعله العلماء المتقدم ذكرهم، كتب والده الجليل السيد محيي الدين لرؤساء الأقاليم جميعاً وصناديده وشيوخه بالحضور لمبايعة الأمير ممن لم يحضر ما تقدم، فأجابه كلهم إلا السيد محمد بن سيدي عربي، فإنه امتنع أولاً، وكتب مكتوباً له يعطي فحواه؛ أنه لم ينشرح لما اتفق عليه أهل الإقليم، ثم إنه تروى أياماً، ثم وفد في جملة من وفد من رؤساء الجهات، وذلك شهر رمضان، وبايعوه على الجهاد والسمع والطاعة، وعلى أن يقيم فيهم الحدود الشرعية، ويسير فيهم سيرة عمرية، وقد حضر منذ المشهد الثاني جم غفير وجمع كثير، وبعد بيعتهم أطلقت المدافع من أسوار المدينة من الطابيات.

(1) هم المسلمون المؤمنون بوحداية الله عز وجل.

وكتبت له البيعة الكبرى داخل البلد، وبها تمت له الإمارة على جميع الإقليم، وقد ذكر أخوه السيد أحمد، حرس المولى جانبه، في كتابه نصوص المبيعات التي كتبها أجلاء فضلاء ذلك القطر، طويْتُ نقلها هنا رَوْماً للاختصار.

فأصبح الأمير وقد تمت البيعة بذلك المجمع العظيم والاتفاق العميم، وثبتت له الإمارة والسلطنة على ذلك الإقليم بجميعه بلا معارض، وخضعت له جميع المدن البرية في جميع ذلك الإقليم بلا أدنى كلفة سوى مدينة تلمسان، فإنه عارضه من كان فيها من الأتراك وأولادهم ولم يخضعوا له، فحاربهم واستعان عليهم بمن فيها من العرب الحضريين، ففتحها وخضع له من فيها من الأتراك.

وبخضوع تلمسان له وتملكه لها تمت له الإمارة، وثبتت له المملكة والسلطنة على الإقليم، إذ هي أشهر مدنه، وقد كانت داراً للملك من قديم الزمان، وكانت له صولة ودولة أيام ملوكها بني زيان، وقد خُطب باسم الأمير على جميع منابر ذلك الإقليم ومدنه البرية، وهي مليانة والمدينة والبليدة والقليلة ومعسكر ومازونة وتاهرت وبسكرة

والأغواط والزاب وندرومة وغيرها، ولم يبق من مدن ذلك الإقليم الأوسط سوى الأساكن والمراسي التي دخلتها فرنسا⁽¹⁾ قبل توليته وهي القالة وبونه وجلجل وبجاية وشرشار⁽²⁾ ومستغانم ووهران والجزائر وسوى قسنطينة⁽³⁾ فإن الحاج أحمد باي كان استقل فيها بمن كان فيها من الأتراك، وبقيت تحته مع جهاتها الشرقية، كما كانت قبل استيلاء الفرنسيين⁽⁴⁾ على الجزائر، فإنه كان والياً عليها وعلى إيالتها إلا أن الأمر لم يتم له إلا مدة يسيرة وأخذتها⁽⁵⁾ منه الدولة المذكورة، ثم استولى الأمير على بقية إيالتها الغربية.

ثم إن الأمير بعد استقرار الإمارة إليه جعل حدوداً بينه وبين الفرنسية من جهة الأساكن والمراسي التي تحت مملكتها وجعلت قنصلاً عنده من قبلها أسكنته مدينة معسكر

(1) في الأصل: (فرنسوية).

(2) يقصد بها شرشال.

(3) في الأصل: (قسنطينة).

(4) في الأصل: (فرنسوية).

(5) في الأصل: (أخذها).

اسمه (دوماص) بدلاً عن قنصلها الأول الذي قتل نفسه
وكتب بخطه: لا تتهموا أحداً بقتلي، فأنا الذي فعلت بنفسني
ما فعلت.

وجعل الأمير وكيلاً عندهم أسكنه مدينة وهران،
وكان بواسطته يشتري له جميع ما يلزمه من الأسلحة.

تنظيم العساكر وشراء الأسلحة

ثم شرع الأمير في كتب العساكر النظامية، وجلب لها
من البلاد الأوربية المعلمين التعليمات الحربية والتنظيمات
العسكرية اقتداء بمحمد علي باشا والي الديار المصرية، فإنه
لما جاء الأمير إلى الحج مع والده رأى الباشا المذكور مُجداً في
كتب العساكر وترتيبها على النسق المعروف، فاقتدى به فيما
فعل، فلم يلبث هو بعد توليته إلا سنة واحدة وأشهرًا.

وشرع في كتبها متبعاً نسق المذكور وطريقته، ولم يكن
إلا مدة يسيرة حتى أصبحت دولته كأنها دولة قديمة ثابتة
القوائم مؤسسة الأركان والدعائم.

إنشاء مصنع للأسلحة

وفي سنة 1253 هـ اتخذ فابريكا لعمل السلاح والبناريه، وجلب آلاتها وصناعتها ومعلميها من الدولة الفرنسية أيام مهادنته معها بدراهم بليغة على مدة سنة كاملة، وجعل تحت أولئك المعلمين صناعاتاً وفَعَلَةً من أهل الإقليم هددهم بالقتل إن لم يتقنوا الصنعة قبل تمام السنة، ثم ما مضت إلا مدة يسيرة حتى أتقنوا الصنعة، ومهروا فيها على أحسن ما ينبغي، لما سمعوه منه من التهديد بالقتل وشديد الإهانة، ثم رد معلميها الإفرنجيين إلى بلادهم قبل تمام السنة، حيث لا لزوم في بقائهم، وبعد ذلك شرع في اتخاذ فابريكا⁽¹⁾ أخرى لعمل المدافع الكبيرة إلا أنها لم تتم.

فأصبح الإقليم بعد توليته مجتمع الكلمة متهجأ، وارتاح الأهالي مما كانوا فيه من العذاب الأليم بسبب القتل والنهب والهرج والمرج وتشويش الأفكار والتعدي على الضعفاء والمساكين، وأمنت السبل، وانكسرت شوكة

(1) من صناعة أو إنتاج.

المتغلبين من جبابرة الإقليم، وخمدت نار الحرب التي كانت بين الأهالي، واستراح الناس أيام دولته راحة عظيمة، وكانت أيامه أيام خصب ورخاء وسعة لسيرته سيرة المتقدمين من الملوك العدل، فإنه في أيام دولته لم يأخذ من الرعية إلا الزكاة المشروعة، وبذلك عمت الراحة الأهالي جميعاً.

مكاتبة ملك مراكش

وبعد توطيد البلاد إليه واجتماع قلوب الأهالي جميعاً عليه كاتب ملك مراكش السلطان عبد الرحمن، وكانت بينهما مواصلات عظيمة ومكاتبات تقتضي كمال المحبة والمودة وتتمام المواصله، وقد بعث الأمير إليه أول مرة أخاه العلامة السيد محمد السعيد، ومعه شيخه العلامة السيد مصطفى ابن عبد الحلیم المستغانمي في جملة من أكابر الإقليم مستصحباً معه بعض التحف الإفرنجية لتتميم ربط المواصله بينهما والمودة، وأرسل إليه ثانياً عمه العلامة الأفخم السيد علي بن أبي طالب في وفد من رؤساء الإقليم ووجوهه، فأكرمت الدولة المراكشية نُزُلَهُم، وأحسنّت إليهم كل الإحسان، ثم

بعد ذلك بمدة أرسل إليه شيخ الجماعة ومقدمها في وقته العلامة المتفنن السيد ابن عبد الله الملقب بسقاط قاضي مدينة معسكر ومعه جمع من الوجوه، وبسبب تلك المواصلات كان يشتري له وكلاؤه الذين هم بتلك الدولة ما يلزم من الكسوة والآلات والسروج والبارود وجميع ما تحتاجه العسكرية من الأشياء، واتصلت تلك المودة بينهما، ثم انقطعت بما استطاع عليه بعد.

الاحتفال بالمولد الشريف وتجارب على القتال

وقد كان الأمير أيام ولايته يحتفل احتفالاً عظيماً للمولد النبوي، ويخرج جميع عسكره من البلد إلى أرض فيحاء متسعة، ويجعلون بها شبه محاربة، فيقف عسكره في ذلك المتسع، ويجعل شبه قلعة مربعة الأركان من العسكر، ويكون في وسط تلك القلعة ما يحتاجه من الذخائر العسكرية، وتجعل في كل ركن من أركان تلك القلعة مدفعاً أو مدفعية، ثم يحيط بتلك القلعة خيول من خيالاته النظامية أو من الأهالي.

ثم تخرج من القلعة شردمة لتدفع تلك الخيول،
وتزيحها عن محالها، وتبعد بمقدار عشر دقائق عن القلعة،
وتطلق البارود على تلك الجموع المتراكمة المتقابلة لها، ثم
تهجم عليها تلك الخيول هجمة واحدة، وتطلق النيران
البارودية، فإذا تكاثرت عليها رجعت تلك الشردمة منهزمة
ومتولية إلى وراء، وتطلق البارود على الخيول إلى أن تدخل
تلك القلعة فتلتئم معها، وتصير كأنها لم تخرج منها ولا
انفصلت عنها.

ثم تطلق تلك القلعة النيران المتتابعة على الخيول،
وتضربها بمدفع أو مدفعين من ذلك الركن، فترجع الخيول
عنها.

ثم تخرج طائفة أخرى من جهة غير تلك الجهة،
وتفعل مثل الأولى، ثم تهجم الخيول التي بمقابلتها بقوتها،
وتفعل كما تقدم، ثم ترجع متولية القهقري طالبة للتحصن
بتلك القلعة مع عدم فترة الضرب عنها، فإذا وصلت إلى
القلعة التحمت معها، وصارت بحيث يراها الرائي كأنها لم
تخرج منها أصلاً ولم تبارحها.

ثم تشتعل النيران المتتابعة، فترجع الخيول، وتطلق عليها الصواعق المدفعية من ذلك الركن، وهكذا تفعل من جهاتها الأربع، وتكون تلك الحرب بمقدار ساعتين أو ما يقرب منهما، فيرى من يشاهد ذلك أفعالاً تسره، ويستهج منها خاطره، وكذلك كان يفعل في جميع الأعياد بعد الصلاة.

مدة تولية الأمير

وكانت مدة تولية الأمير سبعة عشر عاماً، منها اثنتا عشرة كانت على غاية ما يكون من الراحة والسرور والبسط، وإن حصل فيها بعض المحاربة فليست بمكدره كل التكدير ولا مشوشة للأهالي، إذ كانت تشتعل فيها نار الحرب ثم تنطفئ سريعاً لعدم توجه الفرنسية فيها لمسلك بقية الإقليم، وأما بقية تلك الأعوام فكانت على غاية ما يكون من الشدة والعذاب الأليم، إذ الكروب كانت فيها متوالية والحروب متتابعة، فقد وقعت فيها بين الأمير وبينهم حروب متصلة متعددة لها أيام وليال مشهورة، ولنذكر أول حرب منها لشهرتها عند الخاص والعام، وإن كانت هذه المحاربة

وقعت قبل أن تعترف الدولة الفرنسية للأمير بالإمارة على الإقليم، وتسطر أمره في دفاترها، وإن كانت جعلت وكيلاً عنده من قبلها، فإنما ذلك لأجل أن تطلع بسببه على أشياء وتهدي به إلى بعض المصالح تظهر لها نيتها فيما بعد، لا لكونه معدوداً عندها وقتئذ من الملوك ذوي المقاطعات، إذ ما ثبت له الإمارة عندها ولا اعترفت له بها إلا بعد هذه الحرب بمدة كما ستطلع عليه وبعثه إليه الحاج المولود بن عراش سفيراً إلى باريز عاصمة ملكهم، وهذه الحرب هي التي وقعت بزواج مولى إسماعيل، وهي أول حرب وقعت بينهما.

فبينما الأمير على غاية ما يكون من الاطمئنان والراحة، وإذا بمكتوب ورد عليه من بعض مسلمي الجزائر يتضمن أن الجنرال تيريزي (تيريزل) متوجه لقتالك، فكن على أهبة وحذر، ولا سبب إذ ذاك يقتضي الحرب أو يفضي إليها، غير أن المكتوب تأخر وصوله إليه، ولذلك لم يتأهب حسبما ينبغي، وكان بين مصدق ومكذب لعدم السبب، فتأهب بعض التأهب، وجمع أمره بعض الجمع، وكان دوماً قنصل دولة فرنسة عنده بمعسكر ووكيله هو

بوهران، ولم يبديا له شيئاً مما يقتضي قطع المواصلات أو
يوجب تكديراً أو حرباً، ثم إن سعادته لم يلبث إلا مدة يسيرة
بعد ذلك، وإذا بمخبر ورد عليه من رئيس العسكر المحافظين
على الحدود بأن العساكر الفرنسية انفصلت عن مدينة وهران
متوجهة للقتال حسبما يظهر من سيرها، فكن على أهبة.

جمع الأمير عسكره الذي هو بمدينة معسكر، وبعث
للعرب التي كانت حواليتها من الحشم وغيرهم بالحضور
والتأهب للجهاد والذب عن الوطن والبلاد، والمحاماة عن
الحريم والأولاد، وبعث وقتئذ ساعياً لعسكره الذي هو
بمدينة تلمسان تحت قيادة خليفته السيد محمد البوحيمدي بأن
يبعث به سريعاً من غير تراخ ولا توانٍ، ويحملونه على الإبل
والبغال، ويأتون بهم كأنهم طائرون، وخرج بمن معه من
الجنود وبما تجمع من الأهالي ومن العرب متوجهاً نحو مدينة
وهران، فالتقى الجمعان على غير ميعاد، ونشبت النيران
الحربية، وحمي الوطيس، واختلط الجمعان، وبطل ضرب
البارود، ولم يبق إلا بالسيوف والنصال التي تجعل على رأس
البواريد شبه النصال، فمات جميع من خرج به الأمير من

عسكره المنظم المشاة، وأطلقت الجيوش الفرنسية⁽¹⁾ الصواعق النيرانية من مدافعها على الخيول التي بقيت مع الأمير، وعلى جموع المجاهدين، فتشتت وانهزمت لتتابع ضرب المدافع عليها، ولم يبق من الجموع إلا القليل، وقد خلت الطريق ولم يبق معارض، وتقدمت الجيوش الفرنسية ومشى مقدار ساعتين أو ما يقرب منها، ثم نزلت وخيمت، وتقدمها وسيرها إنما كان لإظهار القوة، وإلا فإنها تكبدت خسائر جمة.

ولما خيمت نزل الأمير بمن بقي معه من الخيول بالقرب منها في شزيمة قليلة جداً بحيث لا تقدر على أدنى معارضة، ولا تملك دفاعاً ولا مقاومة يسيرة، ثم في الساعة الثالثة من تلك الليلة وردت على الأمير خيول كثيرة من قبيلة فليته، فحصل لجماعة الأمير بعض الاطمئنان بها، وما عسى تفيد الخيول ولو بلغت ما بلغت في الكثرة مع العساكر النظامية المقوّاة بالمدافع، ثم قبيل الصبح وصلت العساكر من تلمسان التي كان بعث إليها بالحضور، فتعصّدت قوته بها،

(1) في الأصل: (فرنسوية).

واشتد ساعده بوصولها، وبوقتها ألقى الله الرعب في قلوب
الجيوش الفرنسية، فكرّت راجعة إلى وراء على طريقها التي
جاءت منه، مع أنها لو جدّت بالأمس كل الجدل لكانت
وصلت إلى مدينة معسكر ودخلتها بلا معارض وتحصنت
فيها، إذ لا مدافع لها قبل مجيء ذلك العسكر، والأهالي لا
تقدر على دفاع العسكر النظامي وترجيعة.

ثم لما رأى الناس رجوعها وتوليها القهقري مع
حضور العساكر التلمسانية تقوت قلوب الأهالي، ورجع من
كان خرّ بالأمس إلا القليل ثم انتشبت النيران الحربية بين
الفريقين، وقد اجتمعت جموع بليغة من الأهالي، واحتاطت
بهم فحمي حينئذ الوطيس واكفهر وجه النهار، وأطلقت
النيران بالأشجار الملتفة بذلك المحل والحشيش أمام الجيوش
الفرنسية⁽¹⁾ وعن اليمين والشمال، وأكثرت من الصياح
واللغط والضجيج مع تتابع الصواعق من مدافع الجهتين،
فوهنت العساكر الفرنسية، وانكسرت شوكتها، وفشلت كل
الفشل، وحصل فيها الضعف والخلل ولاسيما حيث أخذ

(1) في الأصل: (فرنسوية).

رئيس الطبجية بعض المدافع، وجعلها أمامهم على محل مرتفع، ثم أرسل عليهم نيرانها المتتابعة، وكان حاذقاً ماهراً في كيفية إرسالها عليهم، فدخلهم الفشل الكلي، وتركوا جميع ذخائرهم وبعض المدافع ولم يبقوا بأيديهم إلا ما لا بد منه، وتوجهوا قاصدين البحر طلباً للتحصن به والتخلص من الهلاك، إذ لم يبق من جيشهم في ذلك النهار الهائل إلا طائفة تجمعت على من بقي من الرؤساء، واتخذت شبه قلعة مرتفعة الأركان، ومشيت نحو البحر، إذ رأت فيه بعض المراكب من مراكبها كانت تجول فيه.

وكانت [العساكر الفرنسية] قد أيست من النجاة، فإنها رفعت علامة التسليم وأشهرتها مرتين، ولم يتحصل من ذلك على طائل لعدم فترة البارود من تلك الجموع المتشكلة من عشائر العرب وأخلاطها، حيث إنها لا تفهم علامة التسليم أو إنها فهمت وقصدت إعدامهم بالكلية، فحينئذ تحققوا بالهلاك، وتيقنوا أن لا نجاة.

وأما عسكر الأمير فظن أن تلك العلامة مجرد خديعة ومكر، ثم إن ما بقي من الجند الفرنسي لما وصل إلى البحر

قربت من تلك المراكب وصادفتهم على سبيل الاتفاق،
ووجدتهم على أسوأ حال، فركبوها ونجوا، ولولاها
لاستؤصلوا جميعاً وقُطِعَ دَابِرُهُمْ، وفي ذلك النهار يقول عم
الأمير من قصيدة:

قلبنا لهم ظهر المجنّ عشيّةً
صَبَرْنَا بِهَا أَلْفًا وَنُصْفًا مِّنَ الْأَلْفِ

وهذا القدر هو الذي تركوه ملقى على وجه الأرض
في مَقْتَلِهِ اليوم الثاني ما عدا من مات منهم في مَقْتَلِهِ اليوم
الأول وواره، ولم يظهر له أثر، خشية أن تحرقه الأعراب،
وذلك العدد يحكى أنه يقرب من التسعمئة ما عدا المجاريح.

وقد مات في اليوم الثاني عدة من رؤساء عسكر
الأمير وكثير من مشايخ العرب، وفي اليوم الأول استشهد
جميع عسكر الأمير الذي خرج به من مدينة معسكر ومعهم
اثنا عشر ضابطاً كبيراً من الذين يشار إليهم، ويتأسف على
فراقهم التأسف الكلي.

وقد أُسر من الجند الفرنسي جمع غفير، إذ كان الأمير

وعد كل من جاء بواحد من عسكريهم حياً أو برأس ميت فإنه يأخذ عشر ريالات، فاقتحمت الأعراب لذلك شذائد المنية، وخاضت بحار الموت بهمة قوية طلباً لحصول الموعد به، وجاءت بعدد كثير، فوفى الأمير لجميعهم بما وعد وأنجز، مع ضعف خزينته وقلة ما بيده.

وكان لهذه الواقعة موقع عظيم في قلوب الإفرنج وغيرهم حتى إن الأعراب اتخذتها تاريخاً لأولادهم، ومن وقتها اعتبرت الدولة الفرنسية الأمير كل الاعتبار، وعظم في عينها، وعرفت قوة عزمه وشدة حزمه، وتحققت شوكرته ونفوذ أمره، وقد كانت جاءت على غفلة لتنال منه مطلوبها على غرة، فرجع سهمها عليها.

وبعد هذه الواقعة التي ملأ السهل صرعاها استعظمت فرنسا الأمير، وعرفت حقه، وصارت لا تبادره بالحرب ولا تنشب بينهما إلا بعد المخابرة ونقض العهد، على أن كثيراً من المرات كان يأتي نقض المهادنة والصلح من قبله.

وقد استحق هذا القدر من الموتى في تلك المعركة المتقدمة من لم يعرف حق القتل الآدميين ولم يحضر لمواقع

النزال، مع أن غاية ما في الحروب الوقتية العظيمة هذا القدر أو ما يقرب منه، ثم تنهزم الجهة المغلوبة، وكون اليوم الواحد يموت فيه عشرة آلاف مثلاً أو ما يقرب منها غير مقبول عند أولي التجربة العارفين بالمواقع في جميع هذه الحروب الواقعة الآن، وإن ذكر فإنما هو على درجة المبالغة، نعم في أيام متعددة يصح ما ذكر وتصدقه العقول الكاملة، وسبب ذلك كون حروبنا الوقتية نارية، وهي لا يقتل فيها أكثر من ألف فأقل، ثم تنهزم الجهة المكسورة، وترتفع الحرب، وهذا في الحرب التي بلغت حدها، وإلا فلا يصل لهذا المقدار إلا القليل من الحروب.

الصلح بين الأمير وفرنسة ثم نقضه

ثم بعد تلك المحاربة المتقدمة وقع الصلح بين الأمير وبين الدولة الفرنسية، وتمت المهادنة سنين ثم انتقضت، وسبب نقضها هو أن الدولة الفرنسية كانت أخذت قسنطينة من يد الحاج أحمد باي، خرجت إليها من بونة، وانكسرت أول مرة، ثم خرجت إليها من طريقها مرة ثانية بقوة عظيمة،

يُقال: إن عسكرها كان ستين ألفاً ما بين راكب وماشٍ، فملكتهَا عنوة، وسبب انكسارها في المرة الأولى هو أنها لما احتاطت الجيوش الفرنسية بها، وصارت تجعل لأنفسها الاستحكامات صار رئيسها يجول بين صفوفها، وإذ بكورة من مدافع سور البلد أطلقت على ذلك الرئيس، ففرقه شذر مذر، ثم انتشبت الحرب بين أهالي البلد وبينها، ولموت ذلك الرئيس وشدة البرد انكسرت الجيوش الفرنسية، وخسرت خسارة عظيمة، وكان بين المحاربة الأولى والثانية ستة أشهر، ولم يحضر واليها الحاج أحمد باي لواحدة منهما، فإنه لخوفه من الأهالي بسبب كثرة ظلمه لهم الظلم التام، كان كلما توجهت الدولة الفرنسية لأخذها يخرج بمن كان معه من الأتراك إلى محل بعيد منها، ثم يراقبها منتظراً ما يصير إليه حالها، وإنما كان ذلك الذي يحث الأهالي على الدفع على الأهل والأولاد والوطن قائد البلد ابن البجاوي رحمه الله إلى أن أصيب وخر ميتاً، فدخلوها بعد محاصرتهم لها ثمانية أيام، وكانوا حاولوا أن يدخلوها من الباب، فما قدروا بعد أن ضربوا الباب بالمدفع، وانفتح المصراعان لهم فهجموا مرات متعددة،

ورجعوا خائنين، وأغلق الباب وأعيد كما كان عليه، فلما
أيسوا من دخولها منه لشدة تحصنه بالطايبات التي كانت فوقه
تركوا الباب ونصبوا عدة مدافع تجاه السور من محل بعيد عن
الباب ليلاً، وأضاءوا عليه شعلة كهربائية⁽¹⁾، ثم تابعت
صواعقهم على ذلك المحل، ففتحوا فيه باباً، ثم اقتحمت
عساكرهم على ذلك المحل، وهجمت بقوتها عليه فدخلت،
ثم صارت المقاتلة بينهم وبين الأهالي بالأزقة والشوارع مدة
من الزمان، ثم وقع التسليم والإعلان بالأمان.

ولما دخلوها [أي الفرنسيون] فرَّ الكثير من الرجال
والنساء، ونزلوا من كاف اشكورة بالحبال، خوفاً من السبي،
أو إطلاق سبيل الفاحشة فيهم، وكان النزول منه صعباً جداً
ومخاطرة عظيمة، ولكنَّ شدة الخوف ألجأتهم إلى ذلك النزول
من تلك المهواة.

وبعد أن ثبتت قدم الفرنسية في قسنطينة⁽²⁾ رام بعض
أولاد ملكهم فيليب أن يذهب إليها، فخرج من الجزائر

(1) في الأصل: (كهربائية).

(2) في الأصل: (قسنطينة).

متوجهاً نحوها على طريق البر، ومشى في أراضي الأمير ورعيته، ولم يستأذنه في ذلك، فلما سمع به امتلاً غيظاً وغضب الغضب الشديد على العسس الذين كانوا حوالى الطريق حيث إنهم لم يشهروا عليه السلاح، ثم كتب مكتوباً للفرنسيين⁽¹⁾ يقبّح منهم ذلك الفعل، فأجابوه: حيث إن الولد صغير السن وقد اختار ذلك، وحتم أن يمشي في ذلك الوقت، ولا سعة فيه للإخبار مع تحققنا أن ذلك الأمر لا يشق عليك، حيث لا ضرر فيه لا عليك ولا على الأهالي، فالخطب سهل.

فلم يرض [الأمير] الجواب، ونقض المهادنة التي كانت بينهما، وانتشبت الحرب، فكانت سبباً لأخذهم تلمسان منه أول مرة، ثم احتاط فيها منهم⁽²⁾، وضيق عليهم غاية الضيق إلى أن خرجوا منها صلحاً، بسبب ما لحقهم فيها من الضنك والشدة وانقطاع المؤونة عنهم، فلم يتيسر لهم البقاء بها.

(1) في الأصل: (فرنسوية).

(2) في الأصل: (فيهم)، والأصح للمعنى ما ذكر أعلاه.

ثم انعقد الصلح بينهما سنين، وفي أثناء هذه المدة بعث الأمير سفيره الحاج المولود بن عرّاش إلى باريز عاصمة ملكهم، وقاعدة سلطتهم، واجتمع مع الملك فيليب، وجعل له ضيافة أحضر إليها جملة من رؤساء دولته ووزرائه، وقال له: نحن نريد دوام المواصلّة بيننا وبينكم وتمّام الموائد، ولكن لا يتم ذلك إلا بشرط أن يكون الحد الفاصل بين رعيّتنا ورعيّتكم النهر الفلاني الذي هو بالأرض الفلانية، وذكر بعده شروطاً آخر فقال له: أما ما ذكرته من الشروط غير المذكورة فإنني أقبلها وأصدّق عليها الآن، وأما الأول فموقوف على تصديق الأمير، وإنني قبلته إن قبله ورضي به، وأبقوا ذلك السفير عندهم بباريز ثلاثة أشهر، وقد أطلعوه في تلك المدة على جميع عددهم وعددهم ترهيباً له، وإظهاراً لقوتهم، فإنه ما من يوم من الأيام إلا ويمشي أمام المنزل الذي هو فيه جيش عظيم غير الجيش الذي كان رآه بالأمس.

ومن ذلك الوقت اعترفت الدولة الفرنسية للأمير بالإمارة على إقليم الجزائر ولقبته بها، وعدّوه من جملة الملوك ذوي المقاطعات، فلما جاء ذلك السفير أخبر الأمير بما قال له

الملك، فقال له: أنا لا أَرْضَى بذلك، ولا أَسْمَح لهم بشيء من بلادي ولو جزئياً، فالحمد لله على عدم تصديقك على ذلك، ولو أدى إلى المحاربة مع أن الذي طلبه مقدار فرسخين ونصف لا غير. فقال له: نحن لا نقدر على محاربتهم أصلاً على ما اطلعت عليه من زيادة العَدَدِ والعُدَدِ التي عندهم وشاهدته من وفور خزائنهم مع ضعفنا وقلة عددنا، فنحن لا نقدر عليهم!!

فقال له: إن الوهم استولى عليك ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿[سورة البقرة، الآية 249].

ثم قال له بعض الحاضرين لتلك المحاورة: وما يدريك أن تلك الجيوش التي كانت تمر بمرأى منك تكون الثانية هي الأولى، وإنما يغيرون هيئتها ولباسها، فسكت، ثم بعد مجيء السفير بمدة وقع التقاطع وسببه ما تقدم، وليته سمح لهم بعشرة فراسخ. ثم بعد ذلك عظم البلاء واتصلت الحروب، وتوالى الشدائد على ذلك الإقليم، ولم تطب الراحة لأهله مدة خمس سنوات متوالية.

حرب ثنية مزاية

ولنذكر حرب ثنية مزاية من أراضي المدينة، وكان حضرها الأمير وخليفته السيد محمد بن علّال، وخليفته الثاني السيد الحاج محمد البركاني، وكانت ضباط العساكر مجتمعة فيها، وبسبب ذلك الاجتماع حصلت من العساكر همّة قوية وشجاعة كلية، إذ قد حضرت تلك النهار بقلوب صخرية، وأفئدة حجرية، مع أن عددها كان لا يزيد على ستة آلاف، ما عدا جموع المتطوعة من الأهالي، وفعلت ما لا يصدر إلا من نحو الثلاثين ألفاً فأكثر، والأمير كان من عادته أنه لا يجمع في جميع مواقعه عساكره كلها، ويحارب بها خوفاً عليها من أن تُفنيها الحرب لقلتها، بل كان عسكره دائماً متفرقاً على خلفائه، وهم السيد محمد بن علّال، والسيد محمد البوحميدي، والسيد الحاج محمد البركاني، والسيد محمد بن سيدي عقبة، وذلك لأن الجيوش الفرنسية⁽¹⁾ كانت تخرج متفرقة من جهات شتى لتعظم المكايدة بذلك، ولتفاقم الأمر

(1) في الأصل: (الفرنسوية).

على الأمير، وبسبب ذلك كان يقابل هو جيشاً، وكل واحد من خلفائه المذكورين يقابل جيشاً من جيوشها، ومع كل واحد منهم قطعة من العسكر النظامي وجموع من الأهالي بمقدار عشرة آلاف أو أقل أو أكثر.

وسعادة الأمير لو جمع عسكره وحارب بهم لأفنتهم الحرب في مقتلة أو مقتلتين، واضمحل أمره في مدة يسيرة لقلّة عدده وعُدده، إذ جميع عسكره الذي كان مقيداً في الدفاتر، وله معاش اثنا عشر ألفاً منتظمة الانتظام الموجود بين الدول، منهم ثمانية آلاف مشاة وأربعة آلاف خيالة، وما كان تقوية سوادها إلا بجموع الأهالي المتطوعة، ولم يحصل في جميع حروب الأمير ومواقعه مع كثرتها وتعددتها ما حصل في المقتلة الأولى من القتل، وفي مقتلة ثنية مزاية.

وأما حرب جامع الغزاة⁽¹⁾ فإن العساكر الفرنسية كانت فيها قليلة جداً، ولذلك استأصلهم الأمير جملة واحدة في مدة يسيرة قتلاً وأسراً، ولم ينبج منهم أحد، والذي أوجب ثبات عسكر الأمير الثبات

(1) وردت في تحفة الزائر (الغزوات).

الكلي في مقتلة ثنية مزاية المتقدمة هو اتخاذهم التحصينات اللازمة، فإن الجيوش الفرنسية جاءت قاصدة دخول المدينة، فسبقتها عساكر الأمير، وجعلت أمامها بالطريق استحكامات وثيقة، ثم انتشبت الحرب بين الفريقين، وهجمت العساكر الفرنسية⁽¹⁾ المرة بعد المرة على عساكر الأمير وما أن تخرجها من الاستحكامات، وفي كل هجوم ترجع إلى وراء متولية القهقري عن عدد بليغ من قتلى وجرحى حتى صارت الأرض مزروعة بجثث الأدميين ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُجِزَ خَاوِيَةً﴾ [سورة الحاقة، الآية: 7].

ومن العجب أنهم وجدوا في هذه المقتلة جملة من العساكر المصرية مع الجيوش الفرنسية، وكلها من الجيوش السودانية، ولم يتحقق سبب حضورهم إلى الآن، ويقال: إن محمد علي باشا والي مصر أمدهم بتلك الطائفة، وهو مما يستبعد، والله أعلم.

ثم لما اشتدت النيران ذلك اليوم ولم تستفد الجيوش الفرنسية من هجوماتها شيئاً أمر ابن الملك فيليب بتقديم

(1) في الأصل: (فرنسوية).

طائفة من عسكرهم المسمى بالزوّاف، وكان بعيداً عن معمعة القتال ودقوا عليه الموسيقى الكبيرة لتعظم عند ذلك نخوتهم، فجاءوا وحملوا بجملتهم على عسكر الأمير الذي كان بالاستحكامات بقوة عظيمة، فأخرجوهم منها، وزحزحوهم عن أماكنهم بعد أن مات منهم في هذا الهجوم خلق كثير، وتكدوا بسبب هذا الهجوم المتوالي خساراتٍ جمة، وجرح ابن الملك فيليب في رجله، ومات بسبب ذلك الجرح، وإن أشاعوا أن الكروسة هي التي مرت على رجله، والصحيح أنه أصيب بالرصاص، وحمل ومات، ثم انفصل النهار عن عدد بليغ من قتيل وجريح، وناهيك بمحاربة يموت فيها ابن الملك. وفي اليوم الثالث بالقرب من ذلك المحل انتشبت الحرب بين الفريقين، واشتدت وبقيت إلى أن تولى النهار، ثم انفصل الجمعان، وكانت الغلبة لعساكر الأمير عليهم.

والحاصل أن حروب الأمير كثيرة، وكذا غزواته على الأعراب التي أعانتهم [أي الفرنسيين] عليه، وجدّت معهم كل الجد، كثيرة أيضاً، يحتمل جميعها مجلداً كبيراً.

وسبب إعانة الأعراب لهم [أي الفرنساوية]؛ أن الدولة الفرنسية لما تحققت صلابة الأمير بعدم استعماله السياسة معها والمداهنة شرعت في جلب الأعراب ببذل الدراهم البليغة لكبرائها حتى استجلبتهم بذلك كل الجلب، وبسبب ذلك بذلوا مجهودهم معها، وحيرّوا الأمير وسعوا في تأخر أمره، ولا سيما في آخر الأمر، فإن من الأمور المحققة؛ أن الدولة الفرنسية لو لم تستجلب قلوب الأعراب بالإحسان الذي تقتضيه السياسة، واستعجالها الأمير بالمحاربة قبل اشتداد عضده وتقويته بتكثير العساكر، ما قدرت عليه أصلاً، ولكنها لما رأت شدة صلابته التي تقتضيها خاصية الإقليم مع جده كل الجد في كتب الجيوش، والتفاته كل الالتفات للأمور العسكرية بهمة قوية تحققت بأنها إن تركته حتى يتقوى عضده، ويكتب خمسين ألفاً من أهل هذا الإقليم الذي يعد كل واحد منهم بعشرة من غيرهم كما هو مشاهد من عسكره، فلا يتيسر لها أخذ الإقليم أصلاً، وقد كانت نية الأمير أن يكتب ذلك القدر من أهل ذلك الإقليم كما صرح بذلك بلسانه.

فرنسا تنقض المعاهدة

وبسبب ذلك بادرته بالمحاربة قبل أن يشتد ساعده بها ذكرنا، ونقضت المعاهدة التي كانت بينها وبينه، وجيشت جيوشاً بليغة وخرجت بها من مواضع شتى متعلقة بعدم رضا الأمير بتغيير الحد الذي كان الملك [قد طلبه]⁽¹⁾ من سفيره كما قدمنا، وحينئذ توالى الحروب على أعلى ذلك الإقليم، وتتابع النكبات، ودامت البليات إلى أن استولوا على ذلك الإقليم بجميعة مدينة بعد مدينة، وجبالاً بعد جبلٍ بعد معاناة شدة حروب ومقاساة ضنكٍ وكروبٍ إلا أن الأمير لم يتم لهم إلا بعد أن ملكوا تلمسان، لأنهم قبل استيلائهم عليها كانوا كلما أخذوا بلداً من البلدان يحاط بهم من جميع الجهات، تبقى جيوشهم محصورة بها على غاية ما يكون من الضيق، ولا تصل إليهم المؤونة إلا بشق الأنفس وأوامر الأمير ونواهيه سارية في الإقليم بجميعة مع كون المدن كلها بأيديهم إلا مدينة تلمسان وجميع المدن عليهم مغلقة الأبواب، وإن وقع القتال فإنما يقع

(1) زيادة من المدقق للإيضاح.

في طاقات بالأسوار، ولا يدخل عليهم أحد، ولا يتجاوزون أسوار المدن التي هم بها، ودام هذا الحال معهم مدة وأعين جميع الرعايات، وأهل الإقليم طامحة إلى تلمسان ماذا تصير عاقبة أمرها. ثم إن خليفة الأمير السيد محمد البوحميدي كان والياً عليها، ومشدداً على أهلها، ومنغصاً عليهم وقتهم، وكانت تكررت شكاياتهم عليه للأمير، فلم يسمع لهم فيه ولم يُنفَس كرههم بعزله لكونه من خواص أحبابه، ومن عادته أنه لا يسمع في ولاته عذل أحد، ويقول: لا يمكنني أن أعثر على من يرتضيه الجميع، ولا يشتكي منه أحد، وربما لو عزلت هذا لكان من يأتي بعده أدهى وأمر، فأضمرت تلك البلد المذكورة وما حولها الشر، وانتظرت الفرصة.

استيلاء الفرنسيين على تلمسان

ثم إن الدولة توجهت إليها لما علمته من ذلك فدخلتها، واستولت عليها، وبمجرد استيلائها عليها انفتحت لها جميع أبواب المدن التي كانت عليها وكانت أبوابها مغلقة عليها، وذهب الضيق عنها بالكلية.

ومن وقتها تشتت الأمور على الأمير، وظهر تغلب الدولة الفرنسية عليه، فكانت تلمسان في المفتاح لهم لجميع الإقليم مع تأخر أخذها، وكانت لبنة التمام، وقد كانوا أخذوها من الأمير قبل ذلك، فحاصروهم فيها إلى أن أخرجهم منها صلحاً، لأنهم في ذلك الوقت كانوا لم يستولوا على غيرها من المدن التي كانت تحت ولايته من المدن البرية، وكانت قوته وقتئذ متوفرة في الجملة، وقلوب جميع الأهالي معه، وفي المرة الثانية كانت هي آخر بلدة أخذوها منه، وكان قد بدأ ضَعْفُهُ وعلم الكل أن جبل النجاح قد انقطع.

استشهاد السيد محمد بن علال

وزيادة على خروج تلمسان من يد الأمير أن خليفته المقدام السيد محمد بن علال كان سائراً بعسكره بأرض الجعافرة، ثم نزل وقد كانت العساكر الفرنسية بإثره، وبمجرد نزوله أدركته ورامت أن تحيط به، فتلقته عساكره، وكانت على غاية من التعب، ثم انتشبت الحرب بينهما، ولما قويت عليهم الجيوش الفرنسية اجتمعوا وجعلوا شبه قلعة

من عساكرهم ثم اشتعلت نار الحرب ولم يكن إلا شيئاً قليلاً، وحصل بعض الفشل في عسكره؛ إذ هجمت عليها الجيوش الفرنسية بقوتها، فقال بعض رؤساء العسكر للمذكور: اركب فرسك، وانجُ بنفسك، فإن الأمر شديد، وكان نازلاً بوسط العسكر، فلم يفعل ولا استحسن ذلك القول منه، إذ كانت شجاعته ومروءته تأبى ذلك، فصبر ثم ما لبث بعد ذلك إلا برهة يسيرة، واختل نظام العسكر بكثرة القتل، فركب فرسه إذ ذاك ولم يبارح المقتلة إلا مقدار عشر دقائق حتى أصيب وخرّ من فرسه ميتاً رحمه الله تعالى، وقُتل جميع عسكره سوى من هرب وتوارى خلف الأشجار الملتفة. والحاصل أنه لم ينج من ذلك الجمع إلا النادر.

وكانت هذه النكبة عقب أخذ تلمسان، فتعاضم بها الخلل، وفشا التلاشي، وكثر الزلل، وكان عم الأمير المتقدم اسمه سابقاً أشار عليه بأن يحصن تلمسان كل التحصن، ويجعل عليها قلاعاً شاهقة يجلب إليها جميع ما يلزم من المهمات والذخائر والآلات ويتخذها قاعدة مملكته، ويعيدها لما كانت عليه أيام ملوكها الأوائل بني زيان، وقال له: متى

بقيت في ملكك لا يحصل للإمارة تأخير أصلاً، فكان الأمر كذلك فبمجرد ما خرجت تلمسان من يد الأمير خرج الإقليم بأجمعه من يد الأمير دفعة واحدة، وأصبحت الفرنسية في التقدم الكلي، وتم لها ملك الإقليم لأنهم في الحقيقة ما ملكوا الإقليم بجميعة إلا بعد تملكهم لها، وذلك سنة 1259 هـ.

وقد كان أخبر بعض المطلعين على حقيقة الأمر بأنه لو تأخر أخذ تلمسان بمقدار شهرين أو ثلاثة لكانت الفرنسية جعلت شروطاً بينها وبين الأمير، وخرجت له من جميع المدن التي كانت دخلتها واستولت عليها، فإنها ما انفتحت أعينها إلا بعد استيلائها على تلمسان.

ثم بعد أن ثبتت قدمهم فيها شرعوا في بذل الأموال البليغة لرؤساء الإقليم وأكابرهم أكثر مما كانوا يبذلون لها سابقاً، وأطلقوا لهم الإذن التام والتصرف العام فيما يريدونه، وأظهروا للأهالي غاية الإحسان، فاستجلبوا قلوبهم بعظيم سياستهم، وتوجهت القلوب إليهم لما كانوا يظهرونه من تمام اللطف الذي توجه به السياسة، وبها يحصل التمكن

للإنسان فيما يريد، فأعانتهم الأعراب بسبب ذلك على الأمير
بوجوه الإعانة وقتلته دونهم، وبسبب ذلك اتسع الخرق
عليه، وأصبح أمره في الضعف شيئاً فشيئاً إلى أن خرج من
جميع الإقليم الجزائري بعسكره وجموعه إلى أراضي المفاوز
والقفار.

ولما لم يتيسر له ولا لجموعه البقاء بها من شدة الغلاء
والقحط رجع والتجأ إلى الدخول في أطراف حدود الإقليم
المراكشي مما يلي حدود الجزائر بمحل كانت برابره فوضى،
وهم دائماً يقتتلون بعضهم مع بعض، ويقطعون الطرق،
والحكّام المراكشية لا تنالهم، ولا يسمعون قولها، ولا يلتفتون
إليها ولا لأمرها أو نهيها، ولا أمراً بينهم يأمر بمعروف ولا
ناهياً ينهى عن منكر، وإنما هي تحت سلطان مراكش بمجرد
الاسم.

فلبث مخيماً هناك نحو الثلاث سنوات أو ما يقرب
منها، وكان في هذه المدة يشن الغارات على الأراضي الجزائرية
وعلى أعرابها الذين استجلبتهم الفرنسية بسياستها، فقاتلوه
معهم، وتارة على الجيوش الفرنسية ثم يرجع بما غنم إلى تلك

الأراضي والجبال، ويستقر بها إلى أن ينفذ بعض ما حصله من ذلك الغزو، فحصل للفرنسية بسبب ذلك غضب شديد، ولا سيما حين لم يتمكن لها الوصول إليه لتحصنه بتلك الأراضي والجبال، وعظيم المشقة إن تجشموا الوصول إليه بما يلحقهم من الخسارات الجسيمة، والمواقع العظيمة من أهالي تلك الجبال الشوامخ، وربما لا يتم لهم المطلوب، ولا يظفرون بالمرغوب، فبعثوا لسلطان مراکش عبد الرحمن بن هشام بأن يخرجهم من أرضهم حسب الاتفاق والشروط التي كانوا اشترطوها عليه حين محاربتهم له بأراضي مدينة وجدة من أطراف مملكته مما يلي حدود الجزائر، لا سيما وأن الأمير كان بعد مقاتلتها بتلك الأراضي غزا غزوة، فلما سمعوا به خرجوا إليه من جامع الغزاة⁽¹⁾ ليمنعوه من الدخول إلى الأراضي الجزائرية فحاربهم، ولما تحققوا بالهلاك جعلوا عسكرهم شبة قلعة، فاحتاط بهم، فلم يبرحوا إلا زماناً يسيراً حتى استأصلهم جميعاً، ولم ينج منهم أحد إلا من أخذ أسيراً من العسكر ومن الرؤساء الذين لم يقتلوا في المعركة.

(1) وردت في تحفة الزائر (الغزوات).

ثم سار مشرّقاً فلما وصل إلى أراضي قرية تموشنت
صادف في طريقه ثلاثمئة عسكري من الجند الفرنسي كان
أخذاً جملة من الصناديق المملوءة بالبارود والسلاح، فلما دنا
منها سلّمت أمرها إليه بلا ضرب ولا محاربة، ووضعت
السلاح، وذلك أن رئيس تلك الشرذمة قال لها:

لا يسعنا إلا التسليم، فإننا إن حاربنا فلا بد أن تأخذ
النار في صناديق البارود فتحترق يقيناً، وعلى كل فلسنا ناجين
فاختاروا التسليم، ووضعوا سلاحهم فاستلمه عسكر
الأمير.

وبعد تسليمهم بعثهم الأمير إلى دائرته ومحلّ مخيمه،
وسار مشرّقاً إلى أن وصل إلى جبال زواوة بالقرب من
الجزائر بخيوله دون عساكره المشاة، فإنه قد أذن لها في
الرجوع لحماية أهله ومن كان معه من الأهالي من جماعة
البرابرة التي خيم بوسطها.

وقد فتك في هذه الغزوة فتكاً ذريعاً بالعربان التي
كانت معينة للفرنسية عليه.

سلطان مراكش يأمر بإخراج الأمير

ثم بعد رجوع الأمير من هذه الغزوة إلى محله من الأراضي المراكشية كتب سلطان مراكش إلى رؤساء تلك الجبال من البرابرة التي كان الأمير مخيماً بأراضيها بجموعه وعسكره، ومستقراً بوسطها بأن يخرجوه وجموعه من بينهم، وحثهم على ذلك كل الحث وحرصهم كل التحريض، وقرأت رؤساء البربر مكاتيبه على الناس بالأسواق وفي الأندية وفي جميع المحافل ومواضع الاجتماع، فلم يلتفتوا إلى تحريضه لعدم اتفاق كلمتهم على ما طلبه منهم، فإنهم وإن كانوا على غاية من التوحش يعلمون أن الأمير مجاهد في سبيل الله، وقد دخل أرضهم وهم مسلمون، فتحرم مقاتلته شرعاً وتقبح طبعاً على أنهم إن راموا ذلك فلربما يخسرون ولم يحاول ذلك منهم سوى برابر قلعة المجاورين لمدينة مليلية من أراضي الريف، فرجع سهمهم عليهم، وخسروا يومهم وأمسهم، فإنهم حاربوا الأمير، فقتل منهم سبعمئة رجل في المعركة.

الأمير يطلب فتاوى من علماء مصر بشأن سلطان مراكش

ثم إن السلطان عبد الرحمن لما أظهر العداوة للأمير
وأفشاها لجميع رعيته بحيث إنها اتضحت لدى الخاص
والعام، ورام محاربته بعث سعادة الأمير سؤالاً لعلماء مصر
يستفتيهم في شأنه؟

فأجابه العلامة المحقق محمد عlish شيخ المالكية
بالديار المصرية، ونص السؤال:

الحمد لله من خويدم المجاهدين والعلماء والصالحين
عبد القادر بن محيي الدين إلى ساداتنا العلماء الأبرار الأفاضل
الأخيار رضي الله عنكم وأرضاكم، وجعل الجنة منزلكم
ومثواكم.

[ما] جوابكم عما فعله بنا سلطان الغرب من
المنكرات الشرعية التي لا تتوقع من مطلق الناس فضلاً عن
أعيانهم، فأمعنوا نظركم فيها شافياً، وأجيبونا جواباً كافياً
وافياً خالياً من الخلاف ليجلوا قلب سامعه عن الاعتساف،

وذلك أنه لما استولى عدو الله الفرنسي على الجزائر، وخلت الإيالة من الأمير، وانقطعت السبل، وعطلت الأسباب، وطالت شوكة الكافر، اجتمع ذوو الرأي، وتفاوضوا على أن يقدموا رجلاً من ساداتهم يؤمن السبل، فاختاروا رجلاً منهم وقدموه لذلك، فتقدم وعمل جهده فيما قدموه له، فتأمنت السبل بحمد الله، وتيسرت الأسباب بعونه، وجاهد في سبيله، وذلك من لدن سنة 1246 هـ إلى سنة 1263 هـ هذه، ولن تزال كذلك إن شاء الله، فإذا بسultan المغرب فعل بنا الأفعال التي تقوي حزب الكافر على الإسلام، وتضعفنا، وأضر بنا الضرر الكثير، ولم يلتفت إلى قول رسول الله ﷺ : «المسلم أخو المسلم، لا يسلمه، ولا يظلمه»، ولا إلى قوله ﷺ : «المؤمن لأخيه كالبنان المرصوص يشد بعضه بعضاً»، ولا إلى قوله ﷺ : «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة.

فأول ما فعل بنا أننا كنا حاصرنا الكافر في جميع ثغوره نحواً من ثلاث سنين وقطعنا عليه السبيل ومادة البر

من الحب والحيوان وغيرهما تضيقاً عليه وتضعيفاً له خصوصاً من جهة الحيوان؛ لأن قانون عسكره أنهم إذا لم يأكلوا اللحم يومين أو ثلاثة يفرون عن طاغيتهم، ولا يقتلون، ولا يلامون حتى بلغت قيمة الثور عندهم مئة ريال دُور، فإذا بالسلطان المذكور أمدهم وهم في الضيق الشديد بألوف من البقر وغيرها.

الثاني: أنه غصب من عاملنا ألفاً وخمسمئة بندقية إنكليزية.

الثالث: أنه غصب من وكيلنا أربعمئة كسوة جوخ أعدناها للمجاهدين.

الرابع: أن بعض المحبين لله ورسوله من رعيته قطع قطعة من ماله الخاص به ليعين به المجاهدين، وإذا بالسلطان المذكور زجره ونزعها منه، وقال: أنا أحق بها، والحال أنه لم يجاهد. وأيضاً: إن بعض القبائل من رعيته عزموا على إعانتنا بأنفسهم في سبيل الله، فمنعهم من ذلك، وأعاننا آخر من رعيته بسيف في سبيل الله، فحبسه إلى الآن زجراً له وردعاً لغيره.

الخامس: أنه لما وقعت لهذا السلطان مقاتلة مع الفرنسيين أياماً قلائل ثم تصالحا اشترط عليه الفرنسيون ألا يتم الصلح بينهما إلا إذا حل أمر هذه العصاة المحمدية (المجاهدين)، ويقبض رئيسهم، فإما أن يجسه طول عمره، وإما أن يقتله، وإما أن يمكنهم منه⁽¹⁾، أو يجليه من الأرض، فأجابه السلطان إلى ذلك كله.

ثم أمرني بترك الجهاد، فأبيت لأنه ليس له عليّ ولاية، ولا أنا من رعيته ثم قطع عن المجاهدين الكيل حتى هام جوعاً من لم يحتمل، وأسقط من المجاهدين ركباً، ثم أخذ يسعى في قبضي، فحفظني الله منه، ولو ظفري لقتلني أو لفعل بي ما اشترطه عليه الفرنسيون، ثم أمر بعض القبائل من رعيته أن يقتلونا ويأخذوا أموالنا، وكان استحل ذلك، فأبوا، جزاهم الله خيراً.

فإذا تصورتهم أيها السادات هذه الأفعال التي تنفطر منها الأكباد، وتتناثر عند سماعها العباد، فهل يحرم عليه

(1) في الأصل: (يمكنه منهم)، والمعنى هكذا لا يستقيم، والصواب ما أثبتناه في المتن.

ذلك، ويضمن ما غضب؟ ويُقتل بنا إن قتلنا حسبما نص عليه المعيار، ونقله عن نصوص الشافعية والمالكية؟ وهل المهادنة التي أوقعها فاسدة منقوضة؟ لأن الجهاد تعين عليه قبل أن يفجأه العدو بسبب قربنا منه، وعجزنا عن الجهاد ولأن منفعتها عائدة على الكفار ووبالها على الإسلام كما هو مشاهد حسب ما نص عليه في (المعيار) أيضاً، وهل يَحِلُّ بيع البقر لهم وقت أن حصرهم المسلمون على حرمة بيع الخيل لهم والشعير وآلة الحرب أم لا؟ وعلى أنه لم تسعه مخالفة الفرنسيين فيما شرطه عليه من قتلنا وتفرق جماعتنا وما ينشأ عنه بترك الجهاد بالكلية، واقتحم الأمر، وشق العصا، وجاءنا بالجيش ليقتلنا، ويأخذ أموالنا، ويفرّق جماعتنا، فهل يجوز لنا أن نقاتله بمقتضى ما نقله الشيخ ميارة في (شرح لامية الزقاق) في آخر باب الإمامة الكبرى، ونصّه: (انظر إذا خلا الوقت من الأمير، وأجمع الناس رأيهم على بعض كبراء الوقت ليمهد سبيلهم، ويرد قلوبهم عن ضعيفهم، فقام بذلك قدر جهده وطاقته، والظاهر أن القيام عليه لا يجوز، والمتعرض له يريد شق عصا الإسلام وتفريق جماعته، ففي

صحيح مسلم عن زياد بن عِلَاقَة، قال: سمعت عَرَفَجَة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول⁽¹⁾: «إنها ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جميع فاقتلوه كائناً من كان»، وبسنده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد تفريق جماعتكم فاقتلوه» أم لا يجوز لنا ذلك، ونترك الجهاد!! ليس إلا جوابكم تؤجرون وتحمدون، وعليكم السلام في البدء والختام، والحمد لله رب العالمين.

فأجاب الأستاذ المذكور بما نصّه:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله المهتدين، نعم يحرم على السلطان المذكور - أصلح الله أحواله - جميع ذلك الذي ذكرتم حرمة معلومة من الدين بالضرورة لا يشك فيها من.....⁽²⁾ ولم يخطر ببالنا أن يصدر منه هذه الأمور مع مثلكم، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وما قدّر الله سبحانه وتعالى لا بد أن يكون خصوصاً وأنتم جسر بينه

(1) كلمة (يقول) إضافة من المدقق، وليست في الأصل.

(2) كلمات مطموسة.

وبين عدوّه، وكذا ضلّانه لما غصب ضروري، لا يشك فيه مسلم، وكذا استحقاقه القصاص منه بقتله مؤمناً عمداً عدواناً مباشرة، أو بإكراه غيره عليه معلوم من الدين بالضرورة والنصوص التي ذكرتم صحيحة صريحة لا تقبل التأويل، والمهادنة التي أوقعها فاسدة منقوضة، ويبيع البقر وسائر الحيوان، والطعام والعروض، وكل ما ينتفعون به في النازلة المذكورة حرام قطعاً إجماعاً ضرورة لا يشك فيه مسلم سواء في حصر المسلمين إياهم وفي حال عدمه، إذ قتالهم فرض عين على كل من فيه قدرة عليه ولو من النساء والصبيان من أهل تلك البلاد ومن قُرب منهم كأهل عمل السلطان المذكور وفقه الله تعالى، فكيف يتخيل مسلم أن معاملتهم بما يُنفعون به ويتقوون به على البقاء في أرض الإسلام جائزة مع ذلك، وإن اقتحم الأمر، وشق العصا، وأتاكم بجيشه وجب عليكم قتاله⁽¹⁾ وجوباً عينياً، إذ هو حينئذ كالعدوّ والبغاة المتغلّبين الفاجئين القاصدين الأنفس والحريم لعدوانه وتجارّئه على ما أجمع المسلمون [عليه] وهو

(1) في الأصل: (قتالاً) والصواب في تحقيق المعنى ما أثبت أعلاه.

أنفسكم وحریمکم وأموالکم ومنعکم مما هو متعین علیکم
بالإجماع من جهاد الکفار الفاجئین لکم، والمقتول منکم فی
قتاله کالمقتول فی قتال الکفار لیس بینہ وبين الجنة إلا طلوع
الروح، فصمموا علی قتاله، وأعدوا له ما استطعتم من قوة،
نصرکم الله تعالى علیه وعلى أعداء الدین، وبارک فیکم، وفي
کل من أعانکم من المسلمین، وخذل کل من عاداکم کائنا من
کان، وجعل کیده فی نحره.

وقد اقتصرت من السؤال والجواب علی هذا المقدار
رَوْماً للاختصار.

رسالة من ملك مراکش إلى الأمير بالتسليم

ثم لما أیس ملک مراکش من اجتماع كلمة البرابرة علی
محاربة الأمير وخروجه من أراضیهم مع تشدید الدولة
الفرنسية علیه فی ذلك، بعث إلى الأمير وفداً، فلما اجتمعوا به
قالوا له: إن سیدنا یقول لك: إما أن تذهب إلى الصحارى
والقفار، وإما أن تسلم أمرك إلینا، وتدخل تحت طاعتي

وعسكرك ندخله في عسكري وكل من كان منهم رئيساً يبقى
على رئاسته، وتُفرق تلك الجموع التي هي معك، وإلا بعث
إليكم من يفرق جمعكم.

فأجابهم: بأن هذه الأراضي مهجورة، ولا سلطة له
على أهلها ولا أمر له فيهم ولا نهي ولا ضرر عليه في دخولي
لهذه الأراضي حيث لا نفع له يحصل من أهلها، وقد أُلجأتني
الضرورة إلى الدخول لها.

وكان من المحقق أن الأمير لو سلم أمره إليه، ودخل
تحت قبضته لا بد وأن يقتله قطعاً وخروجه من تلك الأراضي
إلى الصحارى المهلكة ذات المفاوز والقفار لا يمكنه لضعف
حال من كان معه من الجموع وهم نحو خمسة وعشرين ألفاً
ما بين رجال ونساء وأولاد ولو تكلف هو الخروج بعسكره
وتركهم للبرابرة لنهبتهم وسبت نساءهم وأولادهم وهم قد
انقطعوا معه، والتجؤوا إليه وعرضوا أولادهم ونساءهم
وأنفسهم للتهلكة لأجله وابتغاء مرضاة الله ورسوله، فلم
يسعه إلا البقاء معهم بتلك الأراضي، وتسليم الأمر لمديره
يصرفه كيف يشاء جلّ جلاله.

فلما رأى ملكُ مراكش الأميرَ مصمماً على عدم تسليم نفسه إليه وعلى خروجه من أرضه بعث إليه جيشاً من جيوشه تحت رئاسة عظيم جيوشه المسمى القائد الأحمر، وأمره بمقاتلة الأمير وتشتيت شمله وتفريق جموعه.

فسار نحو الأمير مجداً إلى أن قرب من مخيم الأمير على ست ساعات، بعث أربعمئة فارس لتخضع الأمير، وتأخذه على غرة، ويظهرون بالسلم عند مرورهم، فإذا ظهر لهم الأمير أخذوه حياً أو أنهم يطلقون عليه الرصاص، فبمجرد ما قربت من الأهالي تلك الشرذمة بادرتها الأهالي بالرصاص، فانجرح منهم البعض، وركب الأمير في جملة من الخيول ولحقهم فرجعوا إلى محلتهم خائبين.

وبعد ذلك بيومين أو ثلاث جمع الأمير أمره، وغزا عليهم ليلاً قبيل انصداع الفجر، فهزمهم وقتل رئيسهم القائد الأحمر بالمعمعة، ثم قطع رأسه، واستولى الأمير على جميع ذخائر ذلك الجيش وأسلحته وخيوله وبغاله، وقع ذلك قبل محاربة برابر قلعية بشهور.

وتقدم أن السبب الحامل إلى بعث القائد الأحمر لمحاربة الأمير هو الشرط الذي اشترطه الفرنسيون⁽¹⁾ على صاحب مراكش لما حاربتة وهزمت عساكره في أراضي مدينة وجدة، وذلك سنة 1261 هـ وكان صاحب مراكش جمع لهذه الحرب الجموع الوافرة من العرب والبربر، فكانت نحو الثمانين ألفاً ولإعجابها بالكثرة وعدم وجود التنظيم العسكري وعدم أخذ الاحتياطات اللازمة كانت الدائرة عليها، فانهمزمت في أسرع وقت وتركت جميع ذخائرها مع قلة الجيوش الفرنسية⁽²⁾ إذ كانت ثلاثين ألفاً.

ولما رأت الدولة المراكشية أن لا قدرة لها على مقاومة الفرنسية، وإن كانت أكثر عدداً منها بأضعاف طلبت منها المصالحة، فأجابتها إلى ذلك، واشترطت عليها شروطاً، وكان أول شرط أنها تلتزم إخراج الأمير من أراضي مملكتها، فتعهدت لها بذلك ثم فعلت ما فعلت من إغرائها برابر مملكتها عليه، ومن بعثها القائد الأحمر لمقاتلته.

(1) في الأصل: (فرنسوية).

(2) في الأصل: (فرنسوية).

ولما لم يحصل لأفعالها المتقدمة نتيجة، جيّشت جيشاً
عمرماً، ووجهته لمقاتلة الأمير، واتفقت هي والدولة
الفرنسية بأن يكونوا يداً واحدة عليه، فأنت المراكشية من
ورائه ووقفت الفرنسية قرب الحدود الجزائرية أمامه لئلا يفر
إلى المفاوز والقفار، وقد خرجت إليه الجيوش المراكشية من
فاس في ثلاثين ألفاً، ثم لا زالت تحشد الجيوش، وتنضم إليها
الأعراب والبرابر، وتكثر سوادها طلباً للسلب والنهب إلى
أن صارت تلك الجموع تملأ السهل والوعر ومعها أولاد
ملك مراكش الثلاثة وهم محمد الذي تولى بعد أبيه، وأحمد
وسليمان، وحرصهم والدهم كل التحريض على استعمال
غاية الاجتهاد في المحاربة، وإبداء التيقظ التام، وشدة الحزم
والعزم على تفريق جموع الأمير وقتله أو الإتيان به إليه،
فرحلوا مجدين بجيش جرار يسد الخافقين إلى أن وصلوا إلى
أراضي قلعية من أراضي الريف وخيّموا بها.

جمع الأمير أمره، وغزا عليهم ليلاً حيث لا يمكن
محاربتهم نهاراً لكثرة عددهم وقلة عسكره، إذ لولا وجود
التنظيم العسكري عنده دونهم وقوة قلوب جماعته لكثرة

تمرّهم على الحروب لما قدروا على مقاتلتهم لا ليلاً ولا نهاراً، ولا بمقدار لحظة من الزمان، فقاتلهم تلك الليلة بطولها قتالاً شديداً، ودخل عسكره محلّتهم الأولى والثانية، وتركوا ذخائرهم وخيامهم، وانضموا جميعهم إلى المحلة الثالثة، ثم انضم الجميع إلى محلة أولاد الملك، وكانت قوته كثيرة، وكل تلك المحلات التي دخلتها عساكر الأمير تركت ذخائرها وخيامها وعظم الأمر حتى صار الليل نهاراً من كثرة النيران البارودية، ولما كلت عساكر الأمير، والجموع التي كانت معه أمرهم بالخروج من تلك المحلات والمخيمات التي كانوا دخلوها قبيل انصداع الفجر، حيث لم يظفروا بالمطلوب، إذ كان مقصوده أن تكون محاربتهم أولاً مع محلة أولاد السلطان، فصدهم صادٌّ عن ذلك، فالتزموا محاربتهم لتلك المحلات التي ذكرناها، ولو أعانهم القدر بمحاربتهم للمحلة المذكورة لحصلت نتيجة وأي نتيجة، ولكن القدر لا يغالب.

ثم خرج الأمير من محلاتهم وخيمهم ولم يأخذوا منها إلا شيئاً يسيراً من أسلحتهم وبارودها وتركوها وجميع ما فيها، وكروا راجعين إلى مخيمهم، ثم انتقلوا إلى محل غير محلهم السابق.

ثم لا زال الأمير يتباعد عنهم وهم يتقدمون مقتفين أثره، وما من دار يرحل عنها إلا ويصبحون خيمين فيها إلى أن نزل الأمير وجموعه على النهر الكبير المسمى بملوية بقرب مصبه على البحر تحت جبل كبدانة، وكان ذلك المحل يقرب من الخط الجزائري على نحو سبع ساعات.

ثم اقتحمت جموع الأمير ذلك النهر وعبرته عشية بلا إذن منه خشية مفاجأة الجموع المراكشية لهم، وهم بذلك المحصر، فتستأصلهم جملة واحدة ولا ينجو منهم أحد، إذ لا قدرة لهم على مقاومة تلك الجموع، ولا مفرّ لهم لوقوعهم بين جبل ونهر كبير عسير العبور وبحر، إذ كان الجبل غربيهم والبحر شرّاهم، ونهر ملوية أمامهم، ومن جهة يمينهم الجموع المراكشية، فأصبحوا لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، ولما عبروا ذلك النهر بالمشقة العظيمة نزلوا وخيموا بالقرب من النهر، فلم يلبثوا إلا يومين، وإذا بالجيوش المراكشية خيمت بمحلنا بالأمس، فتوجه الأمير بعسكره وخياله نحوهم، وقوضت الأهالي خيامها، وسارت متوجهة نحو الحدود الجزائرية فراراً من موت إلى موت، ثم انتشبت الحرب بين

الأمير وبين تلك الجيوش على ذلك النهر، وبسبب تحصن الأمير بذلك النهر، والتفاف شجر الطرفاء بضفته قتل الأمير منهم خلقاً كثيراً، وقد هجموا مرات على النهر، وقصدوا العبور، فلم يمكنهم ذلك لعسر العبور وعدم فترة النيران المتتابعة، وكان كل من رام العبور سقط من على ظهر فرسه إما بالرصاص وإما بطغيان الماء فيأخذه مع فرسه إلى البحر، إذ قد استبحر ذلك النهر عند قربه من البحر.

ثم لما طال الأمر عليهم وأيسوا من العبور إليه وجهوا جيشاً آخر إلى محل بعيد عن معمعة القتال ليعبر النهر بلا معارض، فلما رآه الأمير عبر التفت إليه وفي صحبته السيد قدور بن علال، وترك جملة من خيوله لتمنع ذلك الجيش الذي كان الأمير مواجهاً له مع رئيس خيالاته المرحوم محمد بن يحيى، فتكاثر عليهم الجموع، وهجمت بقوة على النهر فعبرته، وانهزم المذكور بخيوله، ولحق بالأمير؛ إذ قد استحر القتل في جماعته، ثم أمر الأمير بالرجوع، وبذل الجهد في المدافعة، فقال له المذكور: لم يبق إلا الموت، فقال له: ارجع فمت، فرجع بمن معه، فأصيب بأول هجوم، ومات،

وانهزمت خيوله، فعبرت الطائفة التي كان المذكور في مقابلتها، والتقى الجمعان على الأمير فقاتلهم مدة، ثم انهزم قاصداً عسكره المشاة النظامي، الذي كان تركه خلفه، وكانوا قليلين جداً وهم بالنسبة إلى عددهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وقد كان الأمير قال لرئيس عسكره: إننا نحاربهم على النهر، ثم إن تكاثرت علينا الجموع فإننا نلتجئ إليكم وندخل وسطكم، ونجعل العسكر قلعة مربعة الأركان على العادة عند كل شدة، ثم نرسل النيران المتتابعة عليهم إلى أن نفنى، أو يجعل الله لنا فرجاً ومخرجاً.

ثم لما سار الأمير بخيوله قاصداً عسكره المشاة المذكورين اتفق أنه صادف عسكره بطريقهم وادياً، فقال لهم كبيرهم: إن خيول الأمير جاءت منكسرة، فهلموا مسرعين لنقطع هذا الوادي قبل وصول الخيول إلينا وتراكمها علينا، ثم نجعل القلعة المذكورة، فتفرق العسكر ليقطع ذلك الوادي، ثم يجتمع بعد ذلك فاختل نظامه عند قطعها لعسر عبورها وسرعة وصول الشدة إليهم، إذ لم يكن إلا مقدار عشر دقائق حتى دهمتهم خيول الأمير المنهزمة، فشتتهم وفرَّ

رئيسهم في جملة من فرّ، وشدة الأمر لم يمكنهم الاجتماع، وفاتهم التدارك مع ذهول العقول واندهاشها، ولم يبق للتدبير مجال وعند ذلك تقطعت بالأمر الأسباب، وتفرّق جمعه، وقتل من ذلك العسكر من قُتل، وأُسر منه من أسر بلا شديد محاربة لاختلال نظامهم، ثم رجع الأمير بمن بقي معه من الخيول على تلك الجيوش ليلقي نفسه في الهلاك، ولم يلذ له البقاء بعد جماعته، وخاطر بنفسه مراتٍ كل المخاطرة، وصارت المكافحة بين خيوله وخيولهم يكر عليهم هو تارة، ويكرون عليه أخرى، وهكذا من وقت الضحى إلى وقت الغروب.

ثم لما وصلت جموع الأمير إلى الحدود الجزائرية من المحل المسمى عند الغروب ولّت الجيوش المراكشية عنها ولمدافعة الأمير تلك الجيوش لم يأخذوا من جموعه سوى العسكر الذي قدمنا ذكره، وكانت الجيوش الفرنسية تجتمع بالقرب من الحد الجزائري ينتظر بها رئيسها المونيسيير قدوم دوكدومال ابن الملك فيليب عليه، ليتقدم بها نحو الأمير حسب الاتفاق الواقع بين الدولتين.

ولما وقع بالأمير ما وقع، وفرقت جموعه، وقتل من
عسكره من قتل، وأسر من أسر في ذلك اليوم الذي يكاد
يشيب فيه الرضيع، طلب الأمير النجاة والخلوص بمن بقي
معه من الخيول والذهاب إلى الصحراء ذات المفاوز والقفار،
فلم يتمكن له ذلك لكون جميع الطرق التي هي أمامه كانت
مسدودة من جميع جهاتها بالعساكر الفرنسية، وبالعسس في
جميع المحلات وجميع المظان التي يمكنه الذهاب منها،
والخلوص من جهتها إلى الصحراء، وكان الأمير قصد
محلات متعددة للعبور منها إلى المفاوز فوجدها كلها معمورة
بالعسس بحيث إنه لا يمكنه النفوذ منها بالحريم والأولاد.

ثم قصد السيد المختار أبو تشيش رئيس جبل بني
يزناسن من قبائل البربر، لما يعلمه من تمام المحبة والمودة التي
كانت بين والد الأمير وبينه، فسار نحوه مجداً يعلو جبلاً،
وينزل آخر إلى أن قرب من منزله، فأرسل إليه ليواجهه لعله
يشير عليه بأمر أو يجد عنده مخلصاً، فامتنع من مواجهته بعد
أن أرسل إليه جميع ما يحتاجه هو وجماعته من الطعام وعلف
الدواب، وقال لمن أوصل ذلك: سلموا على الأمير وقولوا

له: إنه لا يقدر على المخاطرة بنفسه وأولاده ومن يخصّه ويعرضهم للهلاك فإن المخاطرة شرعاً لا تجوز، وحمايته غير ممكنة لأمثالي، إذ هو مطلوب لدولتين وهما حملتا عليه بقوتها وخيلهما ورجلهما، فأنا لا أقدر على المدافعة عنه بوجه من الوجوه، ولا يقدر على ذلك إلا دولة من الدول لما ترون ممن هو مشاهد، فالعذر واضح.

فاتضح للأمير أن لا مخلص له لوجود الحريم والأولاد، ولا يمكن أن يتركهم لفم العدو وينجو بنفسه، فحينئذ استشار من كان معه في أن يسلم نفسه للدولة المراكشية، فكلهم أبوا عليه ذلك، وأشاروا عليه بالألا يفعل لما يعلمونه فيهم من شدة الغضب وزيادة التوحش وتمام الغلظة وعظم الحمق وقد شوهدهم منهم ما يصدق ذلك، فإنهم لما قبضوا أخا الأمير السيد أبا بكر عليه رحمة الله في ذلك النهار، وكان مجروحاً بالرصاص في رأسه مع ابن أخيه السيد محمد الصادق ابن السيد محمد السعيد رحمهما الله تعالى أخذوهما وواجهوا بهما أولاد ملك مراكش المذكور اسمه سابقاً لينظروهما، وكانت الغوغاء سلبتهم ثيابهم كلها حتى سائر

العورة، وقدموهما إليهم على هذه الحالة فنظروهما وأمروا بهما، فغُلّا بالقيود في أعناقهما على تلك الحالة مع من أمسكوه من عساكر الأمير، ولم يأمرؤا لهما بما يوارى عورتها، وليت شعري كيف ساغ لمروءتهما ذلك مع ما اتفق من أن رجلاً من قبيلة المطالسة عرفهم بهما، وقال لهم: هذا أخو الأمير، وهذا ابن أخيه، ويعلمان أنهما أبناء مجد وفضل، وقد قال ﷺ: «أكرموا عزيز قوم ذل» ثم ردوهما إلى الأسرى، وبيتوهما تحت أديم السماء، وهم حفاة عراة، والليلة شديدة البرد، قبح الله مَنْ لا مروءة له، ثم حَزّوا رأس السيد أبي بكر المذكور، وأخذوه إلى فاس في جملة رؤوس من مات من جماعة الأمير، ووضعوا تلك الرؤوس على سور مدينة فاس مدة أيام ثم واروها بعد ذلك، وأما السيد محمد الصادق المذكور فإنهم أخذوه إلى فاس مقيداً في إهانة شديدة حبسوه بها سنة ونصفاً، ثم أخذوه إلى مراكش مع من أخذوه من عسكر الأمير.

وبالجملة فقد كان من المحقق عند جماعة الأمير أن لهم مثل هذه القبائح وأعظم، ولذا لما استشار من معه في

تسليم أمره للمراكشية أبوا عليه ذلك كلهم حتى قيل له: إن سلمت نفسك إليهم فلا بد أن يأخذوك إلى فاس ويلبسوك قميصاً من خشب إلى أن تموت كما هي عادتهم في قتل أمثالك فإن القوم متوحشون، وشدة غضبهم تمنعهم من الأفعال الحميدة شرعاً أو طباعاً.

الأمير يسلم نفسه لفرنسة

فبعد ذلك أجمع أمره على أن يسلم نفسه للدولة الفرنسية لما هو محقق من سيرهم مع القوانين السياسية، وكونهم لا يبينون الرؤساء والأكابر من ذوي البيوت ولو كانوا أعداء لهم، وبسبب ذلك لا يمكن أن يحصل له منهم أدنى إهانة أو ضرر، فكتب لرئيس جيوشها الذي كان مخيماً بالقرب من الحدود الجزائرية أن يؤمنه ليسلم أمره إلى حكومته، واشترط عليه شروطاً، وهي أن تحمله دولته وجميع من يريد الذهاب معه إلى الإسكندرية أو غيرها من البلاد الشامية، وألا يتعرضوا لمن أراد السفر معه من رؤساء عسكره وأغوات جيشه، وأن من بقي عندهم من مشايخ

جموع الأهالي التي كانت معه لا يتعرضون له بسوء لا في نفسه ولا في ماله، فأجابه ذلك الرئيس بقبول تلك الشروط. وكتب له وختم، فحينئذ سلم نفسه، وذلك في أوائل محرم سنة 1264 هـ. وتوجه إلى معسكرهم، فتلقوه بالترحيب والتكريم والجلالة والتعظيم، وتوجهوا به إلى جامع الغزاة⁽¹⁾ -اسم مرسى من مراسي الجزائر مما يلي الحدود المراكشية- وأركبوه منها في البحر إلى وهران، ثم منها قطعوا به البحر إلى بلادهم، وأنزلوه بمدينة طولون، وبقي قهراً، بها نحو ثلاثة أشهر ونصف.

فأتى إليه بها أرباب المجلس الكبير من باريز قاعدة ملكهم، واستنطقوه⁽²⁾ عن محاربته لهم، وكيف أباح قتل الثلاثمئة عسكري التي كانت سلمت نفسها إليه بأراضي قرية تموشنت⁽³⁾، فقتلت صبراً هي ومن كان معها ممن أسر في واقعة جامع الغزاة، ولم يترك سوى رؤسائها.

(1) وردت في تحفة الزائر: (الغزوات).

(2) أي استجوبوه.

(3) في الأصل: (تموشت).

فأجابهم: بأن محاربتني معكم كانت للمحافظة على وطني، وجرياً على ما تقتضيه الإنسانية، وتحكم به من وجوب مدافعة الشخص عن نفسه، ومن يلوذ به، وأن أهل إقليمي سلموا إلي أمرهم للذب عنهم والقتل دونهم، فيجب علي المدافعة عنهم ما دامت روحي في جسدي. وأما العسكر الذي قتل صبراً فلم يكن ذلك بأمر مني ولا أستحسنه، ولا حمدت من فعل ذلك الفعل، وإنما الرئيس الذي كنت جعلته خليفة عني بعد ذهابي غازياً، هو الذي سولت له نفسه ذلك الفعل القبيح. فتصفحوا تاريخ قتلهم، فوجدوه مطابقاً لما ذكر فإنه كان بين المحل الذي كانوا فيه وقت قتلهم وبين المحل الذي كان هو فيه ما يزيد على عشرين يوماً للمجد، في السير. والسبب في قتلهم هو أن ذلك الرئيس أخبر بأن ملك مراکش يريد أن يغزو عليهم ليأخذ منهم تلك الأسرى في غيبة الأمير، ويسلمها إلى الفرنسية، مع ما لحقه من عظم الإنفاق عليهم وعلى عسكر الأمير، فلم يتأن بعد سماعه ذلك الخبر، وأمر بقتلهم سوى ضباطهم، والضباط الذين سلموا من القتل في محاربة جامع الغزاة⁽¹⁾.

(1) وردت في تحفة الزائر: (الغزوات).

ثم إن الدولة الفرنسية لما لم تجد عليه نقصاً في ذلك القتل لعدم أمره به؛ إذ كانت جواسيسهم⁽¹⁾ بلغتهم الأمر على حقيقته مع إخبار ضباطهم الذين لم يقتلوا، فإن سعادة الأمير بعد أن رجع من غزوه بقي مدة، ثم استحسن أن يمن على تلك الضباط، فبعثهم إلى قرية مليلية - اسم مرسى من مراسي إسبانيا - التي كانت استولت عليها من قديم الزمان من أراضي المراكشية مما يلي الريف، وثبتت قدمها فيها، كما ثبتت في مدينة سبتة من أرضها أيضاً، فاستلمت دولة إسبانيا الضباط منهم لتسلمهم لدولتها، والمظنون أن تلك الدولة دفعت له فداءهم لتأخذ عوضه من دولتهم. والله أعلم.

نقله من مدينة طولون إلى مدينة بو

ثم إن الدولة الفرنسية لما تحققت أنها لم تمسك الأمير عنوة وقهراً، وإنما هو الذي سلم نفسه إليها باختياره، نقلته على غاية ما يكون من الاحتراس من مدينة طولون إلى مدينة (بو)، ومَرَّ في طريقه على مدينة توبور بعد أن استقام بها مدة

(1) تعني الاستخبارات.

أيام للاستراحة، وهي مدينة عظيمة على غاية الحسن والنضارة.

ثم لما وصل مدينة (بو) أقام بها سنة ونصفاً، وقد أسكنوه فيها بقصر عال مبني على تلّ يحقق به من جهاته الأربع بستان لطيف، والقصر المذكور مهياً لسكنى الأكابر، وقد كانوا أسكنوا فيه ملكة إسبانيا سابقاً لما جاءتهم فارةً من قومها.

نقله إلى إمبواز

ثم نقلوه من تلك المدينة لقربها من الحد الذي بينهم وبين مملكة إسبانيا إلى قرية إمبواز، ومر في طريقه على مدينة بوردوا إحدى مدن فرنسا الشهيرة، وحصل له فيها من التعظيم والإكرام ما لم يعهد نظيره، وسبب ذلك: أنه وجد في البلدة المذكورة بعض البطارقة⁽¹⁾ وكان قدم أيام محاربة الأمير معهم على خليفته الشجاع المقدام السيد محمد بن علال، فأكرم منزله وأحسن ملاقاته، ورأى عنده بعض العساكر

(1) في الأصل: (البتارقة).

الفرنسية، فلما ودعه قال له ابن علال: إن هؤلاء العساكر قد خليت سبيلهم إكراماً لك وزيادة في ضيافتك. من غير أن يكلمه البطرك فيهم، فأخذهم معه وذهب مسروراً بذلك، فأشاع ما وقع له من الإحسان، ومن ذلك الفعل المؤذن بكمال العقل وتمام المروءة وحسن السياسة، وقد كان ذلك البطرك⁽¹⁾ قد على شأنه وارتفع عندهم قدره، ولأجله زادت البلدة في إكرام الأمير وتبجيله، وقد كانت تأتي الموسيقى البلدية لمحل نزول الأمير، ولا تزال تدق وتغير النغمات من وقت العصر إلى الغروب، ثم تأتي بعدها الموسيقى العسكرية، ولا تزال نغماتها المطربة إلى أن ينام الناس، وهكذا في جميع تلك الأيام والليالي التي أقام فيها بتلك البلدة.

ثم سار منها إلى بلدة أخرى، ومنها إلى قرية إمبواز⁽²⁾، فأنزلوا الأمير في قصر عالٍ بها، أعده بعض ملوكهم ليقم فيه ببعض أزمنة الصيف والخريف، مطلقاً ذلك القصر على نهر تجري فيه السفن والبوابير (القوارب) الصغيرة على أحسن ما

(1) في الأصل: (البترك).

(2) في الأصل: (انبواز).

يرى من النضرة والبهجة، ويحيط به بستان عظيم فيه مياه
وصهاريج، محتوٍ على أنواع الأشجار والأزهار، وقد لبث
الأمير فيه مع أهله، وحشمه ثلاث سنوات.

قصيدة الأمير في محاسن البادية

[قال الشيخ جمال الدين القاسمي]: حدثني أخو الأمير
السيد أحمد المنوه به أن الأمير لما كان مثقفاً⁽¹⁾ في إمبواز⁽²⁾ اتفق
أن الدولة الفرنسية رامت أن تحمل جميع أبناء البادية التي هي
بإقليم الجزائر على التمدن، وعزمت على أنها تبني لهم قرى
يسكنون بها، ثم اضطرب أهل مجلسها في ذلك، إلى أن عدلوا
عن ذلك القصد خشية ألا يتم المطلوب.

وفي خلال المذاكرة بذلك طلب بعض كبراء دولة
فرنسا ثمة من الأمير المنوه له أن يكتب لهم شيئاً من محاسن
البادية⁽³⁾.

(1) مثقفاً: أسيراً، انظر إلى القاموس (ث ق ف).

(2) في الأصل: (في انبواز).

(3) رواية أخرى في سبب نظم هذه القصيدة:

فأنشأ هذه القصيدة اللطيفة⁽¹⁾، وأرسلها إليه،
ولتفردها في معناها أثرت ذكرها، وهي:

يا عاذراً لا مرئ قد هام في
وعاذلاً لمحّب البدو والقفر
أَتَذُمَّنَّ⁽²⁾ بيوتاً خفّ حملها
وتمدحنّ بيوت الطّين والحجر
لو كُنْتَ تَعْلَمُ ما في البدو تعذرني
لكنّ جهلتَ وكم في الجهل من ضرر

= (وهو أن بعض أمراء الفرنسية تذكروا في الحضارة والبدو،
فبعضهم فضل الحضارة، وبعضهم فضل البادية ثم اتفقوا على أن
يحكموا الأمير فيما بينهم لأنه ممّن سكن الحضارة والبدو، فحكم
لمفضل البادية، وأجابه بهذه القصيدة). انظر: تحفة الزائر 17/3.

(1) قام محمد مطيع الحافظ بنشر هذه القصيدة في مجلة آفاق الثقافة
والتراث، العدد الأول، ص/ 97-100 / اعتماداً على وثيقة
مخطوطة بخط الأمير أحمد أخي الأمير عبد القادر، وقد ذكرها
أيضاً الأمير محمد بن الأمير عبد القادر في كتابه: (تحفة الزائر).
(2) في ت: (لا تذمن).

أو كنتَ أصبحتَ في الصحرا تمرُّ
 بساطٍ رملٍ به الحصباء كالذرِّ
 أو جلستَ في روضة قد راق
 بكل لونٍ جميلٍ طيبٍ⁽²⁾ عطرٍ
 تستشقرن نسيماً طاب مُتَشَقّاً
 يزيدُ في الرُّوح لم يمرُّرُ على قدرٍ
 أو كنتَ في صبحٍ ليلٍ هاجٍ
 علوتَ في مرقبٍ وجلتَ
 رأيتَ في كل وجه من بسائطها
 سرباً من الوحشٍ يرعى أطيّبَ الشجرِ
 فيا لها وقفةٌ لم تُبق من حزنٍ
 في قلبٍ مُضنيٍّ ولا كدٍّ لذي ضجرٍ
 بُاكرُ الصيدِ وقتَ الفجرِ⁽⁵⁾ نبغتهُ
 فالصيد منّا مدى الأوقاتِ في دُعرٍ

(1) في ت: (في الصحراء مرتقباً).

(2) في ت: (شيق).

(3) الهاتن؛ السحاب، مادة القاموس (ه ت ن).

(4) في ت: (أوجلّت).

(5) في ت: (أحياناً فنبغته).

فكم ظلمنا ظليماً⁽¹⁾ مع نَعَامَتِهِ
وإن يكن طائراً في الجو كالصقرِ
يوم الرحيل إذا شُدَّتْ هَوادِجُنَا
شقائِقُ عَمَّهَا مُزْنٌ مِنَ الْمَطَرِ
فيها العذارى وفيها قد⁽²⁾ جعلن
مُرَقَّعَاتٍ بِأَعْيُنٍ مِنَ الْحَوَرِ⁽³⁾
تمشي الحُداة لها من خلفها
أشهى من الناي والسَّنْطِيرِ⁽⁴⁾
ونحن فوق جِيَادِ الْخَيْلِ نرْكُضُهَا
شَلِيلُهَا زِينَةُ الْأَكْفَالِ وَالْخَصْرِ
نطارِدُ الْوَحْشِ وَالْغَزْلَانِ نلْحَقُهَا
على الْبَعَادِ وَمَا تَنْجُو مِنَ الضَّمْرِ
نروح للحي ليلاً بعدما نزلوا
مَنَازِلًا مَا بِهَا لَطْخٌ مِنَ الْوَضْرِ⁽⁵⁾

(1) الظليم: ذكر الناقة.

(2) الاستدراك من ت.

(3) في ت: (بأحداق).

(4) السنطير والسنطور؛ آلة موسيقية تشبه القانون، أوتارها من النحاس، مولد (القاموس الوسيط: س ن ط).

(5) الوضر: الدنس.

تراها المسك بل أنقى وجاد بها
 صوبُ الغائم بالآصال والبُكرِ
 نلّفي⁽¹⁾ الخيام بها صفت مبانيها
 صارت بها الأرض كالسما بالزُّهرِ
 قال الألى قد مضوا قولاً وصدَّقه
 نقل وعقل وما للحق من غيرِ
 الحسنُ يظهرُ في شيء⁽²⁾ رونقه
 بيتٌ من الشعر أو بيت من الشَّعرِ
 أموالنا⁽³⁾ إذ تروح بالعشي
 أصواتها كدويِّ الرعد بالسحر
 سفائن البر بل أنجى لراكبها
 سفائن البحر كم فيها من الخطر

(1) في ت:

نلّقى الخيام وقد صفت بها فعدت
 مثل السماء زهت بالأنجم الزهر

(2) في ت: (بيتين).

(3) في ت: (أنعامنا إن أتت عند العشي تخل...).

لنا المهاري⁽¹⁾ كما المها
 بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
 وخيلنا دائماً للحرب مُسَرَّجَةٌ
 من استغاث بنا بشره بالوטר⁽²⁾
 بعنا الحضارة بيعاً لا نراجعه
 بالعز والعز ما ينال بالحضر⁽³⁾
 نحن الملوك فلا تعدل بنا أحداً
 وأي عيش لمن قد بات في خَفَرٍ
 لا نحمل الضيم ممن جار نتركه
 وأرضه وجميع العزِّ في السفر
 وإن أساء علينا الجار عشرته
 نبين عنه بلا ضرر ولا ضررٍ
 ما في⁽⁴⁾ البداوة من عيبٍ تُذمُّ به
 إلا المروءة والإحسان بالبدر⁽⁵⁾

(1) في ت: (وما للريم سرعتها).

(2) في ت: (بالظفر).

(3) سقط البيت من ت.

(4) جاء ترتيب البيت مختلفاً عن ت.

(5) البدر: جمع بَدْرَة: كيس النقود.

تبيت نَارُ القِرَى تبدو لطارقنا
فيها المداواةُ من جوع ومن خَصَر⁽¹⁾
عدونا ماله ملجأ ولا وَرَرُ
وعندنا عاديَاتُ السَّبقِ والظفرِ
شرايها من حليب ما يخالطُهُ
ماء وليس حليبُ النوق كالبقْرِ
أموال أعدائنا في كل آونةٍ
نحن نُقسِمها⁽²⁾ بالعدل والقَدَرِ
وصِحَّةُ الجِسْمِ فيها غير خافيةٍ
وكل عيبٍ وداءٍ فهو في الحضر⁽³⁾
منا الذي لم يمت بالطعن⁽⁴⁾ عاش
فنحنُ أطولُ خلقِ الله في العُمُرِ

(1) الحَصَر: البرْد في أطراف الأصابع.

(2) في ت: (نقضي بقسمتها).

(3) في ت: (والعيب والداء مقصور على الحضر).

(4) في ت: (من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى).



السلطان العثماني عبد المجيد يقبل دخول الأمير لمملكته



ثم إن ملك الدولة الفرنسية نابليون لما تمت له المملكة على دولته، لم يبق له معارض، اختار تسريح الأمير ليوفي له بالشرط الذي كان اشترط الأمير على دولته، حين تسليم نفسه إليهم، خشية أن تبقى دولته مذمومة بإخلافها الوعد، ونقضها العهد، ويخلد ذلك في كتب التواريخ، كما فعلت دولة إسبانيا مع أهل الأندلس، فإن ملكها نقض في مدة يسيرة عهده، وأبقى فعله القبيح مسطراً إلى انتهاء الأبد.

ثم استأذن نابليون الدولة المصرية في قبولها دخول الأمير لمملكته، فأبى واليها محمد علي باشا ذلك.

فاستأذن نابليون شوكة السلطان عبد المجيد خان في قبوله دخول الأمير لمملكته، فأذن له في ذلك، فبعثه إليه ليجعله تحت مراقبته، وليكون كالكفيل له.

وبعد أن قبل حضرة السلطان دخوله لمملكته استحسّن نابليون أن يفرّق بينه وبين إخوته، فأخذهم من

إمبواز إلى الجزائر، وأسكنهم مدينة بونة ليجعلهم
كالمرهونين، ويقيمهم فيها قطعاً لألسنة أرباب دولته وتأميناً
لهم، وتسكيناً لأفئدتهم كي لا يحصل لهم من الأمير أدنى نكد
أو تشويش مع وجود إخوته تحت قبضتهم، وحسباً لما تعطيه
أفكارهم من كون الأمير لا يصبر عن العود إلى وطنه ومحل
إمارته وعزّه، وأنه بمجرد خروجه للبلاد الإسلامية يرجع إلى
الجزائر، وكانت أفكاره هو غير أفكارهم.

ولم يلبث الأمير بعد تفرقة إخوته إلا ثلاثة أشهر
وجاءه ملك فرنسا نابليون ومعه وزيره إلى محله، وهو بذلك
القصر بقرية إمبواز⁽¹⁾، وأعطاه ورقة تسريحه بيده، حيث
إنه لم يسمع من جميع وزرائه وأرباب دولته أدنى إنكار عليه لما
فعله من تسريح إخوته إلى الإقليم الجزائري، ولا سمع في
جرنال⁽²⁾ (صحيفة) إنكار ذلك عليه في مدة تلك الشهور
الثلاثة.

(1) في الأصل: (انبواز).

(2) تعني الصحافة.

مغادرته باريز إلى الآستانة

وكان تسريح الأمير إلى الآستانة سنة 1269 هـ، وقبل خروجه من باريز عاصمة ملكهم حلفه نابليون على المصحف الشريف على أنه لا ينقض العهد ويحارب الدولة الفرنسية مدة حياته، ولا يرجع إلى الإقليم الجزائري أصلاً، ثم أهداه سيفاً مجوهرًا وقال له: ما أظن أنك ترجع إلينا وتضربنا بسيفنا، فأجابه الأمير بقوله: وهل بعد الإحسان يفعل فيه أدنى مروءة أو كمال عقل ورتب له نابليون في السنة خمسة آلاف ليرة على أن تصرف له مشاهرة. ثم ودعه وسافر إلى الآستانة في مراكب⁽¹⁾ حربية.

ومرَّ في طريقه على جزيرة صقلية من بلاد الطليان⁽²⁾، وذهب إلى المحل الذي تنبع فيه النار من أراضيها، وشاهد في ذلك من وافر قدرة المولى ما يبهر العقول، ورأى النار تَقْذِفُ بالصخرة العظيمة، فتُصْعِدُهَا إلى جو السماء، ثم تسقط على

(1) في الأصل: (مركب).

(2) في الأصل: (الطاليان).

الأرض وتصير رماداً، وهذه النار كلما مضت من الزمان تتبع في تلك الأرض من محل غير المحل الأول، وتبقى فيه شهوراً، ثم تنبع من غيره وهكذا.

ثم لما قضى وطره من مشاهدة هذه الآية الباهرة سافر إلى أن وصل إلى بلفاز الآستانة، فأبقوه ثلاثة أيام لأجل انتظار الإذن لتلك المراكب الحربية في الدخول إلى البلفاز، فأذن لها في الدخول، فدخلت، فلما أرست بمرسى الآستانة أطلقت عدة مدافع إعلاناً بقدومه، فقبولت بمثلها ثم دخلها، وذلك نهار الجمعة سابع عشري ربيع الأول سنة 1269 هـ، فاحتفل به غاية الاحتفال، واجتمع بحضرة السلطان عبد المجيد، فرحب به، وأكرم نُزْلَهُ.

سكنه في بروسة

ثم قال له: إننا قد اخترنا لك أن تسكن في مدينة بروسة من مملكتنا، فتوجه إليها، ووصلها نهار الاثنين سابع ربيع الثاني من السنة المذكورة، وسكنها محترماً معظماً بها لدى الخاص والعام إلى أن وقعت بها زلازل هائلة خرّبت معظمها.

سكنه دمشق

فحينئذ طلب الأمير الانتقال منها إلى دمشق الشام، فأذن له، فتوجه إليها، ودخلها في العشرين من ربيع الأول سنة 1272 هـ بأهله وخدمه وحشمه، واتخذها دار إقامة.

ولما دخلها أطلقت من قلعتها عدة مدافع إعلاماً بقدومه واستبشاراً، وأقام بها على غاية ما يكون من العز والاحترام عند الخاص والعام، تقصده الوفود من جميع الأقطار، وتتزاحم على رحابه أقدام العلماء والأشراف والفضلاء، والأكابر وأرباب الحاجات، فيكرم الجميع، وينزل كل إنسان منزلته، ومُدح بقصائد لو جمعت لبلغت مجلداً، وكان يميز على الشعر الجوائز العظيمة، ويعرف للشعراء حقهم، ويعظمهم، وكان له الجاه العظيم عند جميع الملوك، يحمي الذمار، وينصر المظلوم بمن بَغَى عليه.

وجاز شمساً⁽¹⁾ في كل ملاً قمراً نيّراً في سماء العلى، ذا نفس زكية وأخلاق هاشمية رضية، جزيل الصدقات، عظيم

(1) في الأصل: (وجاز شمساً)، ولعلها: وصار شمساً.

الإحسان والمبرات، فارساً شجاعاً ليثاً في الهيجاء، موثقاً
عظيماً لمن إليه أوى والتجأ.

زيارته القدس والخليل

ثم في سنة 1273 هـ توجه لزيارة بيت المقدس
والخليل.

ثم رجع إلى دمشق، وأقبل على قراءة الكتب الحديثية
كالبخاري ومسلم.

استخلاصه دار الحديث الأشرفية من المغتصبين

وكان قسم من دار الحديث [الأشرفية] قد استولى
عليه بعض الأجانب، فسعى في استخلاصه منه، ببذل أموال
طائلة⁽¹⁾.

(1) للتوسع في هذه القضية انظر كتابنا (دار الحديث الأشرفية) دار
الفكر - دمشق.

حادثة سنة 1860م المعروفة بطوشة النصارى

وفي سنة 1277هـ وقعت الواقعة المشهورة بدمشق، وهي حادثة فوق العادة، فبذل الأمير جهده في إسعاف المسيحيين قياماً بما يوجبه أمر الدين ولشجاعته وحسن تدبيره تيسر إنقاذ ألوف منهم، فأهدته الدولة العلية وسائر الدول العظام علامات الشرف من الدرجة الأولى.

سفره إلى حمص وحجه

ثم سافر إلى حمص وحماه، وزار ما بها من المشاهد، ثم في سنة 1279هـ توجه إلى الحجاز متجراً لطلب المرشد [الشيخ محمد الفاسي الشاذلي]، وبقي هناك سنة يقيم بمكة تارة، وبالمدينة المنورة تارة، وانقطع ثمة إلى الله كل الانقطاع، واستعمل بمكة المشرفة خلوات⁽¹⁾، فكان يذهب إلى غار حراء يعتكف به ليالي متعددة.

(1) جملة معترضة ليس لها علاقة بالسياق أخرجتها إلى الهامش: (ثم سأل من شريف مكة أن يعطيه جملة من العسكر).



اجتماعه بالشيخ محمد الفاسي وسلوكة عليه



وصادف بمكة العارف بالله تعالى المرشد الناصح
الشيخ محمد الفاسي الشاذلي قدس سره، فأخذ عنه الطريقة
الشاذلية وانتفع به، وفتح عليه بسببه وبما سلف له من
الخلوات قبل ذلك الفتح الكبير الذي [لم] يسمع بمثله في
أهل عصره، وأعظم شاهد على ذلك كتابه المسمى
بـ(المواقف العرفانية) ففيه ما يبهر العقول، ويحير أفكار
الفحول، من الواردات وأسرار التنزلات، وقد بلغ ثلاثة
مجلدات⁽¹⁾، (وكنت⁽²⁾ نقلتها بخطي تبركاً، وقرأتها على
أخص أصحاب الأمير، وهو شيخنا صوفي زمانه، ومرشد
أوانه الشيخ محمد بن محمد الخاني النقشبندي حرس المولى
وجوده، وهو سمعها مع غيرها من معظم كتب الحقائق
كالفتوحات وسواها على حضرة الأمير قدس سره).

(1) طبع أكثر من طبعة في مصر ودمشق وبيروت.

(2) هذا كلام الشيخ جمال الدين القاسمي.

دعوته لزيارة نابليون بباريز

ثم في سنة 1281 هـ بعث ملك فرنسا نابليون إلى سعادة بالسفر إلى باريز، فذهب على طريق الآستانة، وواجه حضرة السلطان عبد العزيز خان⁽¹⁾، فأكرمه وعظمه، وأعطاه أكبر وسام عنده، وسعى في تسريح من نفوا من أكابر دمشق في الواقعة المتقدمة⁽²⁾، فأجيب إلى ذلك، وشكر سعيه.

ثم سافر من الآستانة إلى باريز، ففشا الخبر عند جميع الفرنسيين بأن نابليون أتى بالأمير من دمشق ليرجعه إلى وطنه بالجزائر، ويجعله والياً عليها، فلما وصل الأمير إلى باريز جاء لزيارته أحد وزراء الدولة الفرنسية، وأخبره بأن في نية نابليون أن يولييك على الجزائر، فإياك أن تقبل ذلك الآن، لأنك إن قبلت ذلك منه في وقتنا، هذا جعل عليك شروطاً شديدة، واصبر إلى غير هذا الوقت، فإن دولتنا لا بد أن تحتاجك وتولييك عليها بأقل شرط. ولم يعلم هل ذلك من الوزير خديعة، أو نصيحة للأمير، والله أعلم.

(1) هو السلطان الذي تلتته خلافته السلطان عبد المجيد.

(2) هي واقعة 1860م التي نفي على إثرها عدد من أعيان دمشق.

فلما واجه الأمير نابليون قال له: إنني أريد أن أوليك
الجزائر، فأبى الأمير واعتذر له بأنه كبير السن لا يقدر على
حمل ثقل التولية والإمارة، فقال له: قد أجبنتي بلسانك لا
بقلبك، ثم رجع الأمير إلى الشام بعدما حصل له من نهاية
التعظيم والإكرام، ثم توجه من باريز إلى لندره⁽¹⁾، فاحتفلوا
به غاية الاحتفال.

ثم عاد إلى الشام، ومن ذلك الوقت قويت المناسبات
بينه وبين ملوك أوروبا⁽²⁾ والرؤساء المشهورين هناك، فكان
ذلك وسيلة لقضاء حوائج المسلمين الذين هم في
مستعمراتهم، وحصل لهم بذلك من المنافع مالا يوصف.

حضوره افتتاح قناة السويس

ثم في سنة 1286 هـ فتحت الدولة الفرنسية خليج
السويس، وذلك في عهد إسماعيل باشا والي الديار المصرية،
ودعت الدولة الفرنسية ملوك الدول لحضورها زينة فتحه،

(1) المقصود مدينة لندن.

(2) في الأصل: (أوروبا).

ومن جملة من دعي لذلك سعادة الأمير، وبعث نابليون زوجته عوضاً عنه، وجاء ملك النمسا (النمسا)، وملك اليونان، وملك بروسيا، وبعث ملك الموسكوف من يقوم مقامه بذلك المحفل، ودخلت تلك الملوك في بوابيرها، وكذا سعادة الأمير في بابور مستقل مثلها، وأول بابور مرّ فيه بابور زوجة نابليون تعظيماً لها على قاعدة الإفرنج، ثم ملك اليونان لكبر سنه، ثم بقية الملوك المذكورين، وكل بابور عليه علامة وهيئة غير الثاني، ومر الأمير كذلك في بابور على هيئتهم، ووصفهم من غير فرق، ثم عاد إلى محلّ إقامته مبجلاً معظماً.

تصحیح کتاب الفتوحات المکیة اعتماداً على نسخ المؤلف بقونية

وفي سنة 1288 هـ أرسل نسخة من الفتوحات المكية مع شيخنا العلامة الشيخ محمد الطنطاوي، وأصحبه الشيخ محمد الطيب ابن الشيخ محمد المبارك المغربي إلى مدينة قونية لمقابلتها وتصحيحها على نسخة موجودة هناك بخط مؤلفها الشيخ الأكبر قدس الله سره، وبعد تصحيحها بكل إتقان عادا إلى دمشق، ثم قرأها الأمير في داره على بعض الخواص من العلماء، فحصل لهم بذلك نفع عظيم.

دعوته لزيارة أمريكا

وكانت ملوك الإفرنج تأتي إلى بيت الأمير في دمشق لتراه، وجاء ملك أمريكا إلى دمشق على جهة السياحة، واجتمع معه في بيته، وحشه كل الحث أن يذهب إلى بلاده لأجل التفرج والتنزه بها، فتعلل له، فقال له: متى أردت ذلك، فابعث لي خبراً لأرسل بابورين ليحملاك وجميع من تحب إلى قطرنا.

فضائله

وبالجملة فكان له من الحظ الديني والدنيوي ما يكِل القلم عن وصفه، وكان قدس الله سره قويّ الجسم، جميل الصورة، عالماً عارفاً تقيّاً شاعراً ناثراً، حسن الخلق، شارك ذوي المناصب العلية المقتضية للتقدم في سائرهما، لم يجتمع في إنسان من أهل عصره، وأهل زمانه ما اجتمع فيه، له الحظ العظيم والرأي المستقيم، صوأمّ قوأمّ، صاحب خلوات ورياضات، حاضر القلب، مع أنه في الجلوات جاهد في الله حق جهاده، وكان نفاعاً للعباد، لا ييخل بجاهه عن أحد، وكان مقبول الشفاعة، نافذ الكلمة.

ومن عجيب ما اتفق له؛ أن امرأة من أهل دمشق جاءت، وأخبرته بأن رجلاً من أهل بخارى اسمه فلان، جاء إلى دمشق وتزوج بها وأولدها ذكراً، ثم إنه ذهب وتركها، ولا تدري أين تَوَجَّه، ولم يعطها نفقته، وهي فقيرة، وأخبرته بأن زوجها أخبرها بأن أباه من معتمدي نُجَّارِ بخارى، فانتدب الأمير لتفريج كربها، وكتب بذلك لوكيل بخارى بالآستانة، وهو كتب لوزير بخارى بشأنها، فأحضر الوزير أبا الزوج، والزوج وأمره بأنه إما أن يبعث لها ولولدها النفقة، وإما أن يطلقها ويكمل لها مهرها، والنفقة، ففعل الزوج وطلقها، وبعث لها ما ذُكِرَ على يديه إلى دمشق، ومثل هذا لم يتفق لغيره.

وبالجملة فقد جمع الله له بين الشرف، والعلم الظاهر والباطن، والمعرفة والتقوى والجمال والغنى والكرم، والشجاعة والقوة والفروسية، وكمال العقل والتأني في الأمور، والحظ الوافر والجاه العظيم.

وفاته

ولم يزل على هذه الأوصاف السنية والأخلاق الرضية إلى أن أتاه اليقين في منتصف ليلة السبت 19 من شهر رجب الفرد، سنة 1300هـ، وذلك في قصره الكائن قرب قرية دمر⁽¹⁾ بعد أن مرض نحو شهر في حصر البول، وكان مشغلاً في مدة المرض بالمراقبة والذكر، ولم تبد منه شكوى، وإنما كانت تلوح عليه سيما الاستبشار بقاء الله تعالى، والرضا بأحكامه، وقد تولى غسله في داره في محلة العمارة بدمشق نزيله الشيخ عبد الرحمن عlish أحد علماء الأزهر، وحمل نعشه على أعناق الرجال إلى الجامع الأموي، وبعد الصلاة عليه شيعه أهل دمشق بغاية الاحتفال والتعظيم إلى الصالحية، ودفن في تربة سلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي لصيق ضريحه⁽²⁾، ورُئي من سائر الجهات بالقصائد والمنظومات.

(1) بالضواحي الغربية لدمشق.

(2) يقول محمد مطيع: حدثنا أستاذنا أحمد راتب النفاخ أن الذي أشار بدفنه لصيق ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي هو مفتي دمشق الشيخ محمود حمزة نقيب السادة الهاشميين.

ولادته ونشأته

وكانت ولادته في رجب سنة 1223 هـ في قيطنة من ضواحي مدينة معسكر من مدن جزائر الغرب، وتربى في ربا الشرف والولاية، وتقوى في مهد التقوى والهداية، ثم حفظ القرآن المجيد، وعكف على تحصيل العلم، وبذل نفسه في المجاهدة، وبمجرد ما حصلت الملكة وردت عليه المملكة فاشتغل بها، ومع ذلك لم يُعرض عن العلوم حتى صار يعبر عنه أهل إقليمه بأن رجله في الركاب، ويده في الكتاب، وكان سائح مع والده الجليل في بلاد المشرق سنة 1241 هـ فوصل إلى مكة المكرمة، ثم جاء إلى دمشق صحبة ركب الحج الشامي، وكان عامئذٍ في الركب حضرة علامة الدنيا ومرشدُها الشيخُ خالدُ النقشبندي، فاجتمعا عليه في معانٍ راجعين من مكة، ولما قدما إلى دمشق أخذاه منه الإذن في الطريقة النقشبندية، وأدخل والده الرياضة، واختل في جامع المرادية، المعروف بمحلة السويقة، وكانا نازلين عند أحد وجوه المغاربة بالمحلة المذكورة، ثم توجهوا إلى بغداد لزيارة الغوث القطب عبد القادر الجيلاني قدس الله سره، ثم

[حَجًّا] الحج مرة ثانية، ثم [عادا] إلى بلادهما، إلى أن استولى
الفرنسيون على الجزائر، ووقع ما مضى شرحه.

وخلف رحمه الله عشرةً من البنين، وستاً من البنات،
وزوجةً وأربعَ أمهاتٍ أولاد.

وكان طيب الله ثراه مربوعَ القامة، معتدلَ الجسم،
أيضُ اللون، أسود الشعر، كثَّ اللحية، أقرنى الأنف، أضبط؛
أي يعمل بيساره جميع ما يعمل به يمينه، أشهلَ العينين،
يمشي الهوينى.

وكانت له مبرات كثيرة من جملتها أنه كان يوزع مئتي
ليرة في كل شهر على العلماء والفقراء، فضلاً عما كان ينفقه في
وجوه البر، وكان خَرَجُه أكثرَ من دخله الوافر، حيث توفي
وعليه ديونٌ اقتضت بيع بعض أملاكه لوفائها، وهذا أكبرُ
دليل على وفور كرمه.

وكان يعظم أهل العلم، حسنَ المسامرة، لطيفَ
المعاشرة، لا يردُّ سائلاً، ولا يخيب قاصداً، لا ينسى أحداً من
الذين تعودوا إحسانه، ولم يكن عنده شيء من الكبر الذي

تنزهت عنه نفسه المطمئنة، ولا يتأنق في الملابس والمطاعم
لتحققه بالزهد والتواضع.

وله رحمه الله خلوة في منزله بقرية الأشرفية صحنيا
كان يتحنث بها في شهر رمضان مع العزلة التامة.

وله قدس الله سره تأليف مفيدة، أشهرها (المواقف)
في التصوف. وتعليق على حاشية لأحد أجداده في علم
الكلام، و(المقراض الحاد) و(ذكرى العاقل وتنبية الغافل)،
ومن اطلع على هاته المؤلفات عرف قدر فضله، وسعة علمه.

والد الأمير

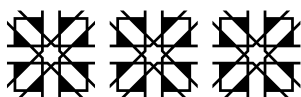
وكان وفاة والد الأمير السيد محيي الدين سنة
1249 هـ عن اثنين وخمسين عاماً، وكان عالماً زاهداً عابداً
محدثاً مربياً صوفياً، تشد إليه الرحال ذا أبهة وصوله وعظمة،
وقد كساه الله تعالى من الهيبة والعظمة عند أهل إقليم الجزائر
ما لم يتفق لغيره.

وكان مقصوداً لقضاء الحوائج الدينية والدنيوية،
وناهيك أنه طُلب أن يتولى الملك لأهل إقليمه لما استولت

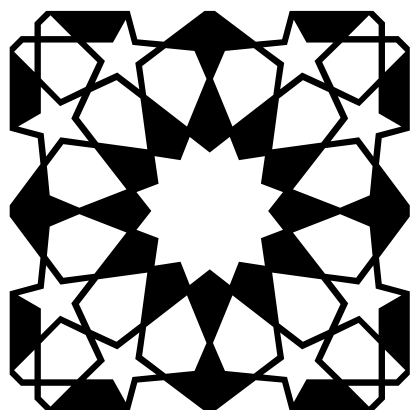
عليه الفرنسيون، ولا زالوا به مدة أربع سنوات⁽¹⁾ وهو
يتمتع، ولما رأى الأمر متعيناً عليه أذن لولده الأمير كما ذكرنا
فيما تقدم.

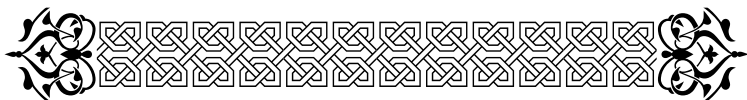
وفي هذا القدر من سيرة الأمير كفاية، وإلا فتفصيل
سيرته يحتاج إلى مجلدات، أفاض المولى على روضته كوامل
غيوث الرحمات.

**بحمده تعالى قد عُرِضَ هذا الجزء بأصله،
وتم العرضُ في رابع شوال سنة 1318 هـ.
كتبه جامعہ جمال الدین القاسمی.**



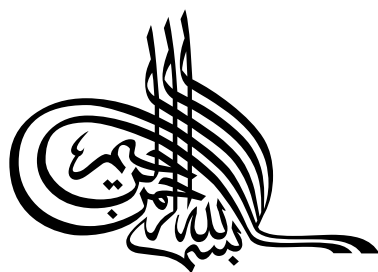
(1) على أنه سلف أن ذكر المصنف أن مدة عرض الولاية عليه
استمرت ثلاث سنوات.





نماذج من مخطوط ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ
القاسمي من كتاب (نُخبة ما تُسرُّ به النواظر) - الكتاب التام -
تأليف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسني، وهي بخط الشيخ
جمال الدين القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام)





قدما تيمم بشيوة تسمى بقرية بني مرغنة وبعد تيمم العثمانيين لها وجعلها قاعدة ذلك
 الاقليم يربطها الصنائع البحرية والبرية المخرقة الجبهة والاله بنيت المشددة والاسرة المضادة والحصون المنيعه والقلاع الوثية
 في الحدة المكنونة وكانت في المماناة الاولى ونجدها بديل تحت ادارة الدولة العثمانية بحيث
 ان والها يتولى من طرفها ويعزل بامرها وكانت سيرتهم في ذلك الاقليم وقصد هجومه لعدوهم
 في الرعية وحسن سياستهم ثم بعد ذلك استغلت تلك الاتراك الذين لو لدوا باقله
 الجراز ولم يبق بينهم وبين الدولة العثمانية اتصال الا بالخطبة باسم السلطان العثماني
 وحزب السكة باسمه وصاروا يولون الولي مدة ثم اذا نشأوا قتلوه وولوا غيره ومن
 غريب ما التفت اليهم في يوم واحد ولو اسيح والاه واسد بعد واحد ولم يزل الامر الاساع
 ثم طغت تلك الامراء وبعثت احرارها على الرعية والكثرت من الظلم والعدوان وسفك
 الدماء بغر حرق وحقت في الاقليم وقصدت فاهلكت الحرت والنسل والاساقيد انقطع
 دولتها فقد استغلت ظلمها غاية الاستعدادا حتى بلغ الهابية وذلك علامة على ان
 سر بها كما هي عادة اسد تعالي في خلقه يقال ان الملك يدوم مع الكرم ولا يدوم مع ظلم
 قال تعالي واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مفرها فمضيقوا ايها ضيق عليها القول قد رها
 يوما ثم استغلت اسد تعالي من اول تلك الظلمة وشتت شملهم واصبح منهم جماعة شورا
 وقد كانت لها اذاعة والسلطة العظيمة في ذلك الاقليم برأوا حتى ان مراكزها
 كانت كلها صفت من كل من المراكب الا فرجة في البحر اورا ثم بعد شدة اية
 ثم تطلق عليه صواحق النار في فتنة او فتنة او فتنة وقد غطيت سطوة في البحر
 على جميع الدول الا روكية وكانت مراكزها مصر في بالظلم والفساد التي كانت
 بحيث انها لا تفسر لها راية في البحر اصل اولك غطت طغيانها ورمات مراكزها
 بعض البحر البرية فتقدم ما فيها وتكلمها مع اهاليها السرى الى البحر انز و قد تقصد
 مراكزها بعض الحملات المخرقة من البلاد الا في فتنة فتنة ج منها بل الى بعض
 ضيعهم التي رية من البحر فتقبل مع اظهارها ما تقدم وترجع وفي يوم وجوها
 تحمل لها رية عظيمة بالبلدة وتصلت رئيس الفتنة او الملك الذي شتمه
 وتعلمه لصدر السفينة عند الدخول لراه الناس مشنوقا ثم في اكثر من ذلك
 الفعل واستند ذلك على البحر في وعظ كدبرهم اذا كانت اسر من خلقها
 بسبب ذلك حادت الدولة الا تكلية الى البحر انزقا حدة الا نظام واخرت
 صو حرق النسل ونصبت علامته واستمرتها مكر او خديعة فاذن لها في الدول
 الى المرسى فدخلت ثلاث مراكب من مراكزها البحرية وكان ذلك الهار يوم عرس
 والناس على غاية ما يوجد من النسر ورم بعثت مكتوبا الى البحر انزعا باشا
 وانتظت جوابه بسرعة وكانت جعلت لها حلالا لرد الجواب ثم ما لبثت تلك
 المراسلة رية تسيرة بعد وصول المكتوب اليه وبجر اذ رة المكتوب وامر
 الوالي برد جوابه واذا ما لصو اعقب النار اية ارسلت مشاكلة لبعضها بعضا
 بلا فزة متعللين اصحابها بعدم السرعة في رد الجواب ولدخولها تحت المرسى لم يكن

ينصبون واسد اعلم لو
 ويقتلونه ويولون غيره

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعتها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

انقلع الله تعزيمها اذ كان المرمي تيجها وزها فحصل بسبب ذلك الاحوال للمركبة اضغاث
 عظيم وتنشيط بلخ لاسما وقد حصل ذلك على غلظة وعدم احيه حتى اضطر الحال
 الى ان صاروا بين لون المدايع من بعض المحصول بالبحال لاجل ان يتكلموا من حارب
 تلك المراكب واصابتها وصارت الالهائي تغرب ما ظهر من نوافي تلك المراكب وسارها
 بابو اريد فليقرن الاطلاق الرصاص من الاحال يعلم شيئا وقد حرت تلك المراكب
 مع قاتنا حلت من البيوت المتعنة وبعض شواهي الخصوم ثم وضع الصلح بينهما
 على ان لا يسلمون اليها جميع ما في الخزائن وبجارية من الاسرى وان كانتين من دولها
 ثم حلت تلك المراكب من المرسى اذ لا قدرة لها على ان تفاعل ولا من كازيه
 من ذلك اذ لا يمكنها حتى ولا غيرها احد الجزائر وقبيلها لان قلب الالهائي كانت
 المستحق على بعض حكمها حتى ان العلم كان خفيفا يمكن التفرقة تحمله ولا يمكن
 لدولة من الدول ان تسكن على إقليم من الاقاليم مع اجتماع حكمه اهلها ولم يفت
 ما بلغت من القوة الانا دارا وقبل هذه الواقعة كانت حادرت دولة اسبانيا الى
 الجزائر وازيدت عساكها الى الرخمينت اليها عساك الجزائر واجتمعت الالهائي
 على هجومها فالتسرت وقطع دابرها وغنم المسلمين جميع ذخيرهم التي اسرهمها
 الى البحر ورجعت م الكرم منكم الشوكه شذ ولا تفي سنة ١٢٤٥ وفتح الخلف
 باين والجزائر من ماشا وبين قرصصل دولة اواسا بسبب يهودى كان
 دا خلاعت حجابها فتكلم القومصل مع الكواي في شأنه بكلام الجاه الغضب منه ان
 حربه بحر وانه كانت في يده مجلس جلست فامتازت صدور دوله غضبا من تلك
 الالهانة وراسلت السلطان محمود بان يذل العمل بالمرس السيادة على حكومة
 الجزائر فرفضت مكتوبه بالذات بالمشيخ فيه فعل الشنيع وصنع القطيع
 وبانه ما من سخطب ذلك القول فصل ومحل مع من الاسبان ما يجبره قلوب
 دولته بسبب تلك الالهانة الواقعة على رؤس الاشهاد فاجتزل لاره ونه
 كلامه فغضب عليه غاية الغضب زيادة على غضبه السابق على تلك الحكمة المحكم
 وقال للدولة العوسية ان اولئك الاشرا فيم عصاة مستغلون مانهم
 فش نكروا ياهم وليتم ايقال بسبب غضبه عليهم ذلك هو ان الدول الاوربية
 اتفقت جميعا على انها تجرى القوانين السياسية وتحكمها وارتبطت على السلطان
 محمود ان يمشي ذلك في جميع رعيته وبام جمع الاقاليم التي ارسلها اليه
 بجزرها ويحكمها والى وان يتخذ الهيئة العسكرية فيعتل الى الدولة المصرية والى
 الدولة التونسية والى الدولة الجزائرية فاشتتت الدولة الجزائرية الاشتتت التام
 وانك تكل الاثار والاسما حيث رات ذلك اللباس المحذر للعوتم وتلك
 الهيئة التي لم تكن مألوفة عند الاسلام حتى ان مأمور السلطان لما دخل الجزائر امر
 بدق الموشها العسكريه في تلك المراكب التي جارت معه فبغت الهم والى
 الجزائر وقال لهم اما ان تتركوا ذلك الدق ما دمتم في ابالي والامرت بتخريقتكم
 فلا

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

فلما رجع ذلك المأمور وانزل السلطان مما شاهدته منه ومن اجل جلسته من الانكار
وشدة الامتناع غضب عليهم غاية الغضب ولولا ان كان مشغولا بقتال البيكيتية
وقرب عهده بمحاربة الموسكوف لبعث جيشا لمحاربة جلوسه الجرازا وشتم من ذلك
الوالي وحزبه ثم ان الدولة العثمانية لما كبر عليها تلك الالهانة واغتمت في عينا
محاربة الجرازا لما كانت عليه من الصولة وقوة القلب والشجاعة كانت محمدا
باشا والي الديار المصرية ما فعله والي الجرازا مع قنصل دولتها والتفت منه
ان يكتب مکتوبا له بالمصالحة بينهما وان يخطي نفسه بما فعل مع سفيرها وان
يقبل التلطيات التي بعث السلطان بها اليه فكتبت اليه على ما كان
ما فعلت من ذلك العقل تاما السياسة وكما كان العقل فاستدرك الامر
قبل انما يفر عليك ومن المولايه عليك على وجه النصيحة ان تستدرك ذلك
الشخص وتعتذر اليه بكل اعتذار وتخرج خاطره لتستر قلب دولته والي
فلتعلن نياها فاجله معد حين فاجاه لشدة غظه بما لا يستحسن ذكره
عند ذوي العقول من الكلام الرخس وذلك ليقضي الله امره ان كان ممنوعا
فان الحق تعالى اذا اراد امر اسلب ذوي العقول عقولهم ولذا يقول بعضهم
اذا اراد الله امر اصابه عقل وكان ذا عقل وسهم وصر
اصم اذ به واعى قلبه وسلم منه عقله سبل الشمر
حتى اذا نفذ فيه حكمه رد عليه عقله لتجبره
ولما است الدولة العثمانية من رجوعه عن طغيانه فقلعت عقده وشدة
صلاته بشدة عظم حقه وسوء تدبره وقلته مع قدره الا قال من حقت حجتا
يبلغ عدده ثمانين الفا وهو وقتل غاية مقدوره بحيث انهم لم يترك في جمع
ملكها الا شيئا يسيرا من عساكرها مما لا يدانها منه بلحا فقلته وقصدت الجرازا
فاطاعت صواعقه الكارثة عليها من السير فقاتلها الجرازا ثم عتلتها واوقف
الي وراها والارسلها مع شدة الحرب ونكايتها بالصواعق من الجحش
ولما تشددت الدولة العثمانية من ذلك الحرب بشدة كانت راجعة
الي وراها وتبعته مدة ايام في السير وسوء التدبير والتساهل في الامور
وعظم الغفلة وعدم احتياذ الحزم لم تفت الدولة الجرازا بزمك من انكارها
ليكشف لها خبر تلك الاساطيل والجيوش وتقف على قصصها في تخير ما يلزمها
من الاحتياطات اللازمة وتجعل رسا في جميع الجهات وفي جميع المظان
التي ينبغي حرج العدو منها بل فعلت كل العقلة اعتقادا على ما ظهر لها
من نية الحرب والشجاعة وقوة القلب وطلبت ان تلك الدولة
اكتسرت وانها رجعت اليها لادها وسب ذلك التساهل هو ان الدولة
الجرازية لم يبق لها حزم بعد وفاة رئيس مراكها وزعيمها التقدم امير البحر
الرئيس قبيدو الزواوي عليه رحمة الله وسب موتهم هو ان الخبرة كانت

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

مقطوعة بين دولة امريكا وحكومة الجزائر في من الدولة المذكورة اربعة عشر مراكبا
من القطع الكبيرة التي تسمى بالهوا، ونشر الشوارع والقلاع وذلك قبل ان يترافع
البوابير وانشأ رهايين الدول الأوروبية وقابلت الجزائر وجات امامها
بيننا وخلا على البعد منها ترهنا لاهلها فلم يات بها والى الجزائر ام الرئيس
المذكور بالخرج الى اقبال الزمان الوقت غير مساعد للخرج ولا للصر فاذا
بالخرج خرج في جملة من الركب واشتعلت النيران الحربية بين الطرفين
فلما كانت الدائرة على المذكور فاستشهد وعلو الرية فقتلها امريكا وبعد هذه
الكثيرة لتلك الدولة وقع ما وقع بين فرنسا وبينها في ان ايشون التي منسوبة
لما توسطت الجزائر جمع رئيسها مع كبرائه وقرروا ان امريكا عند عدم معاودة
حرب الجزائر والانسحاب من والها وقالوا لا يكون لنا تدبير حبيب للخر من نهاية
في المطلوب من كوننا نستغفم عن منزل عساكرنا الى البر ونحصل لها الاستحكامات
ثم تخارهم فيه وتكون مراكبا زانكا اذ حاربنا لهم من جهة النيران استشهد
منها سوى الحرمان ومن يد الحفران لما للبلد من الحصن وقوة التماس وانما
باتوا منها من بعض الجارات البرية ثم رجعوا الى بلادهم وقصدوا بلادهم راسي
بسيدي وخرج بينه وبين الجزائر اربع ساعات من الحرب الغريبة وانزلوا
عساكرهم فيه وانتهزوا لها ما يلزمها من الاستحكامات في اصبغ النهار الا وكان
ذلك الحبل علوا بالفساد التي منسوبة فانهم انزلوا ستمين الفا ووقعوا في الركب
منها ما ابقوا فخر خبت لهم العساكر الجزائرية وكانت قليلة جدا اذ كان جميع
ما عندهم من العساكر في ذلك الاقليم جميعا ثم انه عثر الفاسم الا انهم
واولادهم وكانت من جهة ذلك العدد على جميع مدن الاقليم وخارجهم مع عساكرها
فجفت ما تشبهها جفده وخرجت فالسقي النجاش والقتلو فقتلوا في الاقليم
انهم من الجيش الجزائري وتقدمت التي منسوبة بعض التقدم وزاد الامر الشدة لانا
نقص اصحاب الاقليم لم يبالده من الظلم الذي حصل للعبية وروساء الاقليم فاضاء
سبب ذلك فتم التلويب جميعا مع ما كان من سطر رئيس الجيش في تلك المنطقة
من الخادعات وماراة بلغة في الطقات انشاء الحاربة ليصل اليهم من ابناء
التي باهر من قبل السلطان محمد كذا خذ من ابناء البقية من كل النواحي واهله
المجادعة ونظمهم باوخر فكنتم سببا في الجارية والى الحاربة كل الاجتهاد
لعضم يتقدم اليهم بجهده انا وبالجسار والدفع عن الوطن والبلاد ونظمهم
يقول المقتضى اياه الحاربة حيث اننا شاداهب وكنهم قادم في موضع
الحرب بين الطرفين ثانيا ودرست غابة الاستعداد وجاتهم جميعا في البر
وطلت من الوالي اعانتهم بالاسلحة والبارود فابر من ان يصنعهم وقال لا احد
يأتى الى المدينة لا طلب منه ذلك اليوم فلم يطر بوجه بالحجارة والهمجون
عليهم بالعصى فأتى لا توفى هؤلاء البرابرة بالاسلحة والبارود اذ ذلك خلاف
الحرم

الامر الكمي

سوير والهم والهم سابق محم

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

الحزم ثم اقتتلوا بعد ذلك فانهم هزمت الجيوش التركية انهم اما فقتل به كل الغنشل
 وتذرت الجيوش التركية من البلد فبعد ذلك يتقن والى الجزائر وخرج به باصطلاحهم
 واصبحوا الياسين من النجاش وتقطعت بهم الاسباب فما وجع الولاى الا ان بعض من
 الجزائر في حلة من اجابها الى رئيس الاسباطيل البحرية ليؤمنه ويؤمن الاهالى من
 النسي والاهنت فدخلوا اليه وكلوه في ذلك فاجابهم بان الامكان قليل والعتبار
 الى البحر متوضعا الى واما الان فهو يريد رئيس الجيوش العربية فاجابهم امن البحر وديعوا
 اليه وطلبوا منه الامن والامان الولاى المذكور والاهالى وطلبوا منه ان يتعهد
 اليهم بان الدولة التونسية تتعهد على طاعتهم الامانة وشيئ لم يشاءوا منهم
 وان لا يتصرف لهم في ارض ولا يملكهم بشيئ فاجابهم بالقول الى جميع ما طلبوه منه وكتب
 لهم صكبا وختم على التعهد بما اشترطوه فدخلوا الى الولاى وانصرفوا وما وقع من
 اشتراط الاطمان التيموى في شذ ففتح الابواب للعتبار التونسي فدخلت وكان
 ذلك اليوم الحسنى الالام على ذلك الولاى وحزبه واستلمت الجيوش التونسية
 القلع والحصون واستقرت على البلد وما بها من الزخاير والسفود التي كانت
 تحبس اليها من مدة ثلاثمائة وستة وخمسين سنة وكان من العرائس ان الدولة
 التركية انتقلت في الزوال المارة عشرون يوما وكان المظنون ان من الامور المحققة
 ان الجزائر لا تؤخذ منهم الا بعدد وام الحرب شهر او اثنين مدة لما هو شهر او ثلث
 العموم وانما خصوص من شكا عنهم وقوة قلوبهم التي ليست حاسن خاصة ذلك
 الاقل وهذا هو الذي اوقع ذلك الولاى واعماه حتى فعل ما فعل ولم يستطع ان يسلط
 محمود ولا يقبضه محمد على اشيا وانظر ما ظهر من الفطالة وشدة التخلل واومت
 خلفه الدولة التونسية وظننت انه حكم بشيئ مع ما كان يستعمل من تلك الحكومة
 من الشجاعة وقوة الفؤاد وبسبب ذلك كانت كل التاني وضربت كل العسر
 ولم تبارزه بالبر خفية ان تعجز عن مطولها ولا يملكها عن حق رعت الزحاج
 الى السلطان محمد ومع على ما بان تلك الحكومة مستقلة بنفسها بالامان والارباب
 وطلعت اثارها انما عظم اعترافهم بحقوقهم والحق هذا لهم وحسب انهم
 واقبلوا الى الزحاج وكانت قلوبهم تحبهم لانهم لا احسن الدول بقدر اعلم وان
 الشجاعة التي كانت تظهر منهم انما هو من قلوبهم ولم يعلم ان تلك الشجاعة انما
 جاءتهم من اهل القلم والشفاهم اليه لما كان عليه اولا من العدل وانما كانت في
 المطوعة او ظاهرا استقامت النامنة فلما رفضوا ذلك رفضت قلوب الاطال فلم
 يبد من شجاعتهم بشيئ لا كل ولا عجز ولا انصر وايقوا واحد اخر محال بهم في البر
 عند خروج الجيوش التونسية اليهم ومحاربتهم اليهم فيه واخذت منهم الجزاء في رهنه
 بسيرة مع شدة شكرهم وقوة ثباتهم وادعاهم ان لا احسن جميع الدول بقدر اعلم
 ثم ان الدولة التونسية لما استولت على الجزائر بقيت سنة اشهر بها ثم وجهت بعض

ثم وقيل
 على ايدى الدول ولدت مملكة
 على ايدى الدول ولدت مملكة
 على ايدى الدول ولدت مملكة
 على ايدى الدول ولدت مملكة

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تشر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

المراكب إلى وهران وبعضها إلى بونة فلكلها ولما ارست المراكب على وهران شرعت الأهالي
 في نهش الأشياء التي تخص الدولة التركية ووالى وهران أن يشاهد ذلك ويراه وهم
 يقتسمون الدواب والأخاير ولا يقدر هو ولا أحد من حربه ينكح في ذلك وقد انزل
 الحق تعالى تلك الأثر كمنزلة لم يكونوا يعمدونها ولا كانت تحط بها ل أحد من
 الناس إذ كان لهم من الهبة والعطية والاحلال ما لا يعجز لسانه والموجب لذلك
 كثرة الظلم الذي تردوا به حتى صار شجاراً لهم ولذلك خل بهم الويل والنياقاسان
 من إلى العظيمة والكبرياء وغير وجهه الكريم ثم إن الدولة الفرنسية لما استولت على غالب
 اسكل قليم الجزائر كوجان ومستغانم وبونة وبجاية وغيرها فغنت بها ولم تحط
 لها خاطر في تلك بقية المدن البرية أصلاً لحظهم بها بالاقليم واحل حتى أنها رفقت
 حاكم تونس في أنها تشبه إليه وهران مع كونها أعظم اسكل ذلك الاقليم بحسب
 مسكنة الجزائر فتكون الدولة التونسية كالوقاية لها من شر وراها في ذلك الاقليم
 تكون الاسلام يحجم حيث أنها في ذلك الوقت لم تكن لها نية في تلكه وانما حدثت
 لها نية التملك بعد ذلك فبعثت الدولة التونسية خير البرين باشا إلى وهران
 فلما وصلها بعث لبعض الرساء من وجوهها وكرام الدواير وشكل معهم في ذلك
 فأنابوا ولا سيما حين رأوه متهمين بالهبة إلا أن نجحت في الناس والمكمل وكانوا
 يكرهون تلك الهبة وسكر ونهاكل إلا أنكار وبسببها أعرضوا عنه إلا عن الكلي
 وصار عندهم كالمسخرة وظنوا أن مجيئه خد بعتهم من الفرنسية وبني مده يستقم
 فلما لم ير منهم أدنى توجه ولا إقبال رجع من حيث جاء ثم إن المدن البرية بقيت فوضي
 في جميع ذلك الاقليم بعد استيلاء الدولة الفرنسية في اسكل الاقليم واستحلت
 الجزائر الحربية فيتمتع جميع الجهات بالقتل والهبة والهرج والسلب والانتطاع
 السبل ماخذ الأحوال وقيل الرجال ودام الحال على هذا الموال أربع سنوات بحيث
 لا أثر تام بمخوف ولا ناهي يهي من سكر ولودج ولا يسمع لقوله ولا يلتفت إليه
 وشتت الأعراب الغارات على بعضهم بعضاً وجرى والمدن التي بالاقليم من جميع
 الجهات ولذلك لم يرا القليم أكثر من التعدي على من يحا ورحا فلهذا الهرب والفرار
 واصبحت الناس في شتلك وخرجوا واستتر الحصار وعظم المصيق وشدة الموتار
 حتى بلغت التلوي الحصار فلما رأى ذلك زو والى السند والعقل الكامل أحمد
 اجمعوا على ان يدروا امر يصلح به شأنهم ويختم به كلمهم ولينتم شملهم ثم انفقوا
 على ان يسلموا الاقليم لسلطانهم كاشى سلطان عبدالرحمن بن عثمان فخره جمع منهم
 إليه وطلبوه ذلك فاجابهم لما طلبوه واعطاهم جيشاً فدخل مدينة تلمسان وعسكر
 وعينهم من بقية المدن فامروا ونهوا في الاقليم مدة شهرين ثم صير الامر لهم من
 ملكهم ان يرجعوا فجمعوا اعدان لبوا مطبقين مدة سبعة اشهر أو ما يترتب
 منها ثم خرجوا من الاقليم بلا سبب ظاهراً وعندئذ وجهم اخذوا جميع ما وجدوه من الأشياء

التي

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "تخية ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسنّي.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

التي كانت تخص الدولة العثمانية من الجنود وغيرهما عليه ويخفف علمه ولم يتركوا
 الدافع التي كانت بالاسواق فكانهم لم يتصوروا لها لتفعلها ولذلك يظهر لاهل الاقليم
 تخليهم عنه يحصل علم تشريعي وربما نفع فتية بسبب ذلك والذي يظهر ان
 خروجهم كان بواسطة نكاح الدولة العثمانية مع ملكهم باننا يصدر الاستيلاء
 على جميع ذلك الاقليم وحاشا ان قد استولى اليه على غالب اسلاكه وكيف بل يعث
 حيث ان اليه وند لك اصدر راحه برجوع جنود التي كانت في الاقليم فجمعت ولا بسب
 غير هذا يظهر وابدا علم وصيغة رجوع ذلك الجيش هو ان رئيسه ام يحضر جميع
 ما في الاقليم من الجنود وارتشاع انهم غارون على الارباب يحل لثامهم لما وصلوا الى ذلك
 الحال اظهر واقية انهم غارون على ارباب اخرين وهكذا الى ان خرجوا من الاقليم
 جميعا بلا اذى مكدر واطلوا في اقليمهم وتولوا احتسابهم على الخرج بهذه الكيفية
 يحصل لهم غاية التكرار لو استنصر برجلهم اهل الاقليم وتخليهم عنه لما راى افعال
 الاقليم ذلك الفعل فكر وا في امرهم لعلهم ان يعثوا على رجل منهم يطلع به شانهم
 ويختبئ به كلهم من اهل الاقليم فلم يجدوا شيئا مشهورا لهم اهلهم من رعية الخيرة
 لداستحسان والعام في جميع ذلك الاقليم جامعة للفتى والعلو وتمام الفضل وكال
 الغرض من قديم الزمان الا بيت السيد عبد الغفار بن الحسين بن الحسين ولا شخص
 معطاه عنده اهل الحضر والبلادي يتفق جميع اصحاب الاقليم على كاله وفصله وهو
 اهل الريانته ويشترط الامانة متوفرة فيه ولما عوان وانصار على نصر المظلوم
 وكنت الظاهر في طلبة السيد محمد الدين بن السيد مصطفى بن اولاد السيد
 المذكور وظلمته ذريته فجاوه وطلبوا منه ان يتولى امرهم وبما يهوه على السبع
 والطاعة وعلان يقم فيهم اجدوا الشريعة وكلف الاشرار عن شرهم وان يترك
 المتخلفين ويردعهم عن عنوهم وعيهم فامتنع من ذلك كل الامتناع فالجوا
 عليه المرة بعد المرة وكلما طلبوه يتعللوا باستاء لكر السن وغيره لما يعلمون
 الامارة شانهما عظم وظفرهم اجسم وشمالا يسلبوا اجتمع من القلب ويحب
 له المصائب والهجوم او يوجب تشييت النبال والنداء والغريم وهو في غنا عن
 رياسته التولية والتشغل بها لو اذ غناه وسماع كلمته في اقليمه وعظيتم في قلوب
 اهلهم مع ما هو يصدره من التفاتة لمولاه ونظرة في عقابه وكان سنة وفتنة
 يقرب من التوبة سنة ولذلك لم يرض التولية لنفسه بل ولا رضى بها لو لم يكن
 اولاده وكلما سألوه ذلك لم يوافقوا من اولاده منذ ذلك عليهم وبما به وقد ذكر
 الطلب منهم لم يرد ثلاثة سنين فلم يحب احدا منهم فلما انشأ المخرج والمخرج
 واذا الطيق على المساكين والضعفاء وعظم المخرج ونكر الامام عليه
 المدة بعد المدة وصار امر الاقليم الى التلاشي والاطمئنان وانقلب الى اسوأ حال
 لاذر اندست الطرقات وتوالى الحارات ولا معين للضعيف ولا ناصر للامني
 بل حاله ارجاهم لمظلومهم وودعهم بانه سيسفل ان رأى الامر قد لعين عليه فقم

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسيني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

على الاذن في الامارة والتولية لولده المعظم الكامل السيد عبد القادر لما رأى فيه من
 النجدة ونظام الشجاعة والزمورية وقوة القلب والثبات في الامور والتوجه في المصالح
 والنيات في الخطوب العظام وكمال العقل وزيادة المروءة والفضل وقد كان يحرم
 في الغزوات التي كان يحضر معها ولا سيما في الغزوة التي مات فيها السيد احمد صاحب
 ابن السيد محمد السعيد اخو الامير فقد ابدى الامير فيها من الشجاعة والثبات وفقه
 القلب ما شاع وذاع لدى الكل والاعاظم وذلك ان السيد محمد الدين والد الامير
 جمع جموعا من الاحالي وذهب بها غاربا وهرايا ومعه اولاده الثلاثة السيد
 محمد السعيد والسيد عبد القادر صاحب الترجمة والسيد المصطفى وابن ابنه الشهير
 المذكور في أثناء الطريق مرض السيد محمد الدين ورجع فذهب اولاده المذكورون
 بذلك الجمع وغارت بعض الجيوش على من خرج من البلد فاصابت جنبا وبغالا
 ونفرا وقتلت من صادفته ثم قُتِلَ تلك الجيوش من البلد فاعلقت ابوابها
 ووقع الحرب مناوشة بينهم على الاسوار واطلقت عليهم بعض المدافع من البلد
 فخرجوا عنها يسرا ثم اصابته رصاصات الشهيد المذكور فوقع على الارض
 من فرسه فراه والده فتقدم نحوه ووقف على راسه فسطع بالشرارة ثم طارق
 الدنيا وبقي والده واقفا عنده ميتا لا يدري ما يفعل حيث لا قدرة له على حمل
 الجثة فذهب ثم تحققت الامير ونزل من فرسه وحمله مع جلالته الخطب وشدة
 تخلفها حمله من فرسان الحشم ووقعوا في وجه العدو حتى حملوه على رجله وقد
 تخلف الحاضرون من اقسام الامير ونزولهم ظهر فرسه مع شدة الامر ولم يترك
 للاعداء تمثيله وكانت المدافع تطلق عليهم نيرانها وتنبول العدو وعسكرهم
 ومدافعهم متوجهة اليهم من البلد ثم وقعت الحاربة فقتل الجاهدين راجعة
 الى وراء فحققت نبول من العدو وقتل المجاهدون جميع الجيوش التي حققت ولم
 تدم بحاصمهم ذلك المدة فلبت لعدم وجود السيد محمد الدين معهم ولاراف
 اصحاب ذلك الغزو ماراؤه فيه من الشجاعة والثبات حيث انه لا يمكن
 ان ينزل واحدا من ظهر فرسه في مثل ذلك الموقف الا لقليل عظم في دلوهم
 وطلبوه من والده بالخصوص وان ياد له في الامارة والتقدم فمن المطلوب
 الا انه لم ينشرح لذلك كل الا نشرح لصعوبة الامر وجمالة الخطب ثم انه
 لما غزا وكان آخر غزوة وكان اصعبها من الجيوش سبعون فرسا مجموعها
 اذ كان قبل توليته ولده الامير الترجمة يجيش الجيوش ويجمع الجمع وينتدبها
 وهرايا ويحاصرها بالام واللبالي ذوات العدد ثم يرجع الى محله بالتبعية
 خارج مدينة معسكر حفص له يجمع بين روضه الاقليم وكبرائه من لهم فيه الكل
 والربط وقالوا له قد استحسننا ان نبعث معنا السيد المذكور المذهب الي
 مدينة معسكر ونخرج من كل بيت منها رايالا للمجاهدين الذين ماتت جيوشهم
 لينشروا

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعتها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تَسْرِبُه التواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

ليست وادها فاجابهم الى ذلك ولم يحطوا به لانهم يبايعون ولده في ذلك النهار
 وانما كان مراده واليد علم ابن بيعث / رؤساء الاقليم ففتحهم كلها العادتها في المعركة
 ثم قدم اليهم ولده فبايعوه غير ان اولئك الرؤساء لما فهموا من سعادته الكون
 لما ظفروا منه اخذوا الامير وتوجهوا به الى معسكر في موكب عظيم فلما فرغوا منها
 نزلوا في محل خارجها واستحسنوا ان يعقدوا البيعة في ذلك المحل اذ كان
 المحفل مشتملا على اغلب علماء الاقليم وذوي الهبات والرجال منهم واهل المحل
 والبطن من مشايخ العرب ووجوه مدينة معسكر وبايعوه بيعة خاصة ففعلوا
 وبايعهم جميع من كان به في المحفل خارج البلد وكتبوا له البيعة وقرأ كل واحد منهم
 ما كتب عليه ذلك المصح وكان ذلك باوائل رجب سنة (١٢٤٨) وبعثوا للبلد
 فاحضروا والطبول ثم اجتمعت عليهم جموع من تلك الجهات وادخل البلد والطبول
 تدق امامه وهم على غاية من السرور فلما دخل المدينة اطلقت المدافع من بابها و
 اعلانا بتوليته وقرعوا بوما وقع من اجتماع كلمة الموحدين ثم بعد ان ثبتت البيعة
 لسيادة الامير بما فعله العلماء المتقدمين واهمهم والده الحليل البيه رضى الله عنه
 الاقليم جميعا وصناديده وشيوخه باحضور لما بيعة الامير من من يحضرون ما تقدم
 فاجابوه كلام الله السيد محمد بن سيدنا عيسى فانه امتنع اولا وكتب مستورا له يعطى
 مخواه انه لم ينشرح لما اتفق عليه اهل الاقليم ثم انه تروى انا ما غر وقد في غلظه من
 وقد من رؤساء الجهات وذلك شهر رمضان وبايعوه على الجهاد والسمع والطاعة
 وعلم ان يقوم بهم الجهد والشريعة وتسير بهم سنة عربية وقد عرض هذا
 المشهد الثاني فجمعهم وجميع كثير وبعد بغيرهم اطلقت المدافع من اسوار المدينة
 ومن الطابيات وكنيت له البيعة العامة الكبرى داخل البلد وبها تمت لسيادة
 الامارة على جميع الاقليم وقد ذكر السيد احمد حسن المولى جانيه في كتابه تصور البيعة
 التي كتبها اهل الاقليم فقلنا ذلك القطر طوبت نقلها هنا وما للاختصار فاصبح الامر
 وقد تمت له البيعة بذلك المصح العظيم والاتفاق العيم وثبت له الامارة والسلطنة
 على ذلك الاقليم بجميع بلادها وارضها وخضعت له جميع المدن البرية في جميع
 ذلك الاقليم ولا اذى لكفة سوى مدينة تلسان فانه خارج منه من كان فيها من
 الاشرار والاولادهم ولم يخشوا له غارهم واستعان عليهم من فيها من العرب
 الحضريين ففتحها وخضع لها فيها من الاشرار وبخضوع تلسان له وتملكه
 لها تمت له الامارة وثبتت له المملكة والسلطنة على الاقليم اذ هي اشهر مدنه
 وقد كانت دار الملك من قديم الزمان وكانت لها صولة ودولة وامام ملوكها بني
 زمان وقد خطب باسم الامير على جميع منابر ذلك الاقليم ومدنه البرية وهي
 مليانة والمدية والبلدية والقلعة ومعسكر ومازونه وناحرت وبسكرة
 والاغواط والزاب وقد روموه وغزاهوا ولم يبق من مدنه ذلك الاقليم الا
 سوى الاساكل والمراسي التي دخلها العرسوية قبل توليته وهي القالع وبوينة

كونه

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تشر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

وجلب وبجاية وششار ومستغانم وهران والجزائر وسوى قسطنطين
 فان الحاج احمد باي كان استقل بها من كان فيها من الاشراف وبقيت تحت
 معجهاتها الشرقية كالكانت قبل استيلاء الفرنسيين على الجزائر فانه كان
 واليا عليها وعلى اياها الا ان الامر لم يترك له الا امة يسيرة واخذت امانة الدولة
 المذكورة ثم استولى الأمير على بقية اياها الغربية ثم ان الأمير بعد استقرار
 الامارة اليه جعل حدودا بينه وبين الفرنسيين من جهة الاسلاك والمراسي
 التي كانت تحت مملكتها وجعلت قوفل هذه من قبلها اسكنت مدينة معسكر
 اسمه وماص بدلا عن قوفلها الاول الذي قتل نفسه وكتب بخطه لانهما
 احدا يقتل فانما الذي فعلت بنفسه ما فعلت وجعل الأمير وكلاء عنده اسكنه
 مدينة وهران وكان بواسطته يشترى له جميع ما يلزمه من الاسلحة ثم شرع الأمير
 في كنف العساكر النظامية وجلب لها من البلاد الأوروبية المعلمين التعليمات
 الحربية والتنظيمات العسكرية اقتداً بمحمد علي باشا والي الديار المصرية فانه
 لما جاء الأمير الى الحج مع والده رأى الباشا المذكور محبداً في كنف العساكر وتربها
 على النسق المعروف فاقتدى به فيما فعل فلم يلبث هو بعد تولى له السنة
 واحدة واشتهر واشهر في كنفها مشفق الزكور وطريقتة ولم يكن الا امة
 يسيرة حتى أصبحت دولتها كأنها دولة قديمة ثابته القوام مؤسسه الاركان
 والدعائم وفي سنة (١٢٥٥) اخذ فابريكا لعمال السلاح والبواريد وجلب
 اليها وصناعتها ومعلميها من الدولة الفرنسية رابماها وبنه معها بدراهم
 يبلغ على مدة سنة كاملة وجعل تحت اولئك المعلمين صناعات وفلحة من
 اهل الاقليم وحدودهم بالقتل ان لم يتقوا الصنعة قبل تمام السنة ثم ما مضت
 الامدة يسيرة حتى اتقوا الصنعة ومهروا فيها على احسن ما ينبغي لما سمعوه
 من من التهديد بالقتل وشبهه الا هانة ثم ردم عليها الاوتيجان كما لا بد
 قبل تمام السنة حيث لا روم في عقابهم وبعد ذلك شرع في اتخاذ فابريكا
 اخرى لعمال المدافع الكلبة الا انها لم تنه فاصبح الاقليم بعد تولى له تحت
 مشجها ورتاج الاحالي مما كانوا فيه من الغضب اليه بسبب القتل والهب
 والهرج والمرج وتشويش الافكار والتعدي على الضعفاء والمساكين وامنت
 السبل وانكست سوكلة التخلفين من جبابرة الاقليم وخدمت ناز الحرب التي
 كانت بين الاحالي واستراح الناس ايام دولته راحة عظيمة وكانت ايامه
 ايام حبس ورفاء وسعة لسيرة يسيرة المتقدمين من الملوك العترة
 فانه في ايام دولته لم يخذ من الرعية الا الزكاة المشروعة وبذلك تمت اراحة الاحالي
 جميعا وبعد تولى البلاد اليه واجتمع قلوب الاحالي جميعا عليه كاتسلك
 مراكش السلطان عبد الرحمن وكانت بينهما مواصلات عظيمة ومكانات تقضي
 كال المحبة والمودة وتنام المواصلة وقبعت الامير اليه اول مرة اخاه العلامة
 السيد

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعتها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تشر به النواظر التامة" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسنـيـ .
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

السيد محمد السعيد ومعه شيخ العلامة السيد مصطفى بن عبد الحليم المستغني
 في حلة من الكاكر الاقليم مستقيما معه بعض الخف الاف بجهة لتقم ربطا لمواصلة
 بينها والمودة وارسل اليه ثانيا بعد العلامة الاظم السيد علي بن ابي طالب البلي وقد
 من رواسا الاقليم وجوه فأكملت الدولة الماشية نزاهم واحسنت اليهم كل
 الاحسان ثم بعد ذلك بمدة ارسل اليه شيخ الجماعة ومقدمها في وقت العلامة المتفان
 السيد ابن عبد الله اللقب بسقا قاضي مدينة معسكر ومعهم من الوجوه
 وبسبب تلك المواصلاات كان يشترى له وكلاؤه الذين هم بتلك الدولة ما يلزم
 من الكسوة والالات والسروج والبارود وجميع ما يحتاجه العسكر من الاشياء
 وانصلت تلك المودة بينهما ثم انقطعت عما استطاع عليه بعد وقد كان الامير
 ايام ولايته يحتفل باحتفال اعظم للمولد النبوي ويخرج جميع عسكره من البلد
 الى ارض شجاء متسعة ويحلبون بها شبيه محاربة فيصف عسكره في الدائمتين
 ويجعل شبه قلعة ثم بعد الاركان من العسكر ويكون في وسط تلك القلعة ما يحتاجه
 من الزخاير العسكرية وتجعل في كل ركن من اركان تلك القلعة درعاً او مدفعاً
 ثم يحيط بتلك القلعة بخيول من خالته النظامية او من الاهالي ثم يخرج من القلعة
 شدة ثم تندفع تلك الخيول وترجىها عن صالها وتبعد بمقدار عشرة زكيات عن القلعة
 وتطلق البارود على تلك الخيول المتراكمة المتخالفة لها ثم تنهض عليها تلك الخيول بحجة
 واحدة وتطلق عليها الزنار البارودية فاذا شكاغرت عليها رجت تلك الشدة
 منزعمة ومتولية الى وراء وتطلق البارود على الخيول الى ان تدخل تلك القلعة فتلتم
 معها وتضرب كانه لم يخرج منها ولا انفصلت عنها ثم تطلق تلك القلعة الزنار
 المتتابعة على الخيول وتضربها بمدفع او مدفعين من ذلك الركن فيخرج الخيول
 عنها ثم يخرج طائفة اخرى من جهة غير تلك الجهة وتضرب مثل الاولى ثم تخرجها
 الخيول التي بها باقونها وتضربها بمدفع او مدفعين من ذلك الركن فيخرج الخيول
 للخمس بتلك القلعة مع عدم قسرة العرب عنها فاذا وصلت الى القلعة التحت
 معها وصارت تحت زناها الى ان كانا لم يخرج منها اصلا ولم تبارحها ثم تشغل
 الزنار المتتابعة فيجمع الخيول وتطلق عليها الصواريخ المدفعية من ذلك الركن
 وهكذا تضرب من جهاتها الاربع ويكون ذلك الحرب بمقدار ساعتين او ما يقرب
 منها فيخرج منها هذه الباشا فاعلا تسره ويترجم منها خاطره وكذا لك ما كان يفعل
 في جميع الاحاد بعد الصلاة وكانت مدة تولية الامير سبعة عشر عاماً منها اثنتا عشرة
 سنة كانت على غاية ما يكون من الراحة والسرور واليسر وان حصل فيها بعض
 الحاربة فليست بمقدرة كل التكدير ولا مشوشة للاهالي اذ كانت تشغل في انوار
 الحرب ثم تنطفئ سرعاً لعدم توجه الزنوسية فيها الملك بقية ذلك الاقليم واما بقية
 على تلك الاعوام فكانت على غاية ما يكون من الشدة والعذاب الايام اذ الكروب
 كانت في امتواليه والحروب متتابعة فقد وقعت في ايامين الامير وبنيهم حروب

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسنّي.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

متصلة متعددة لها أيام وليال مشهورة ولنداء أول حرب منها لشهرته عند الخاص والعام
وان كانت هذه الحاربة وقعت قبل ان تعترف الدولة العنصرية للامير بالامارة على
الاقليم وتسطر امره في وقائعها وان كانت جعلت وليا عنده من قبلها فانما ذلك لاجل
ان تطلع بسببه على اشياء من امر اقليم وتهدى به الى بعض المصالح نظر بها يتجنىها
فيما بعد لا لكونه معدودا عندها وقتئذ من الملوك ذوي المقاطعات اذ ما ثبت له
الامارة عندها ولا اغترفت لمرها الا بعد هذه الحرب مدة كما يستطلع عليه وبعضه
الها الحاج المولود ابن عراش سفير الى بارن عاصمة ملكهم وهذه الحرب هي التي وقعت
بزواج مولاي اسمعيل وحيا اول حرب وقعت بينهما فيها الامير على غاية ما يكون من
الاطننان والارادة واذا يكتب ورد عليه من بعض سلكي الجواز يتضمن ان الحال
تير يترى متوجهة لقتال فكن غلا هبة وحذر ولا سبب اذ ذاك يقتضى الحرب
او يفضى اليه غير ان المكتوب تاخر وصوله اليه ولذلك لم يتاهب حسبما ينبغي وكان
بين مصدق وكذب لعدم السبب فتاهب بعض التائب وجميع امره بعض الجمع
وكان دوما من قوتل دولة افراسخذه بمحسرو وكلمه هو لوموران ولم يدب اليه
شئما يقتضي قطع المواصلات او يوجب تكدرا او حرا ثم ان سعادتته لم يلبث الا
مدة يسيرة بعد ذلك واذا تجرد ورد عليه من رئيس العسك الحافظين على الحدود
بان العساكر العنصرية انفصلت عن مدينة وهران متوجهة للقتال حسبما يظن من
سببها فكل على احبة فتح الامير عسكره الذي هو مدينة معسكر وبعث للرب التي
كانت حوالها من الحش وغيرهم بالحضور والتاهب اليها والذب عن الوطن والبلاد
والحماية عن الحرم والاولاد وبعث وقتئذ ساعيا لعسكره الذي هو مدينة تلمسان
تحت قيادة خليفته السيد محمد البوجدي بان يبعث به سر بها من غير ارجح والاقوال
ويحمله على الابن والخال وياون بهم كانه طافرون وخرج من معسكره الجند
وبما تجتمع من الاحالي ومن العرب من جهة نحو مدينة وهران فالتقى الجمان على غير
ميعاد وشنت الزمان الحربية وحمى الوطيس واختلط الجمان ونظا ضرب
البارود ولم يبق الا بالسيف والنصال التي تجعل على راس البواريد شنت القتال
فما تجميع من خرج به الامير من عسكره النظم المشاة واطلقت البواريد العنصرية
الصواعق النيرانية من دافعيها على الجيول التي بقيت مع الامير وعلى جميع العدا
فتشتت وانزمت لتتابع ضرب المدافع عليها ولم يبق من الجيوش الا القليل وقد
خلت الطريق ولم يبق معارض وتقدمت الجيوش العنصرية وشنت مقدار ساعتين
او ما يقرب منها ثم غرقت وحيت وتقدمت وسيرها كما كان لا ظم والقوة والافانها
تكدت خسائر حمة ولما خيمت زل الامير بمن بقي من الجيول بالقرب منها في شرارته
قليلة جدا بحيث لا تقدر على ادنى معارضة ولا تمكك وفاها ولا مقاومة يسيرة
خرج الساعة الثالثة من تلك الليلة وردت على الامير جيول كثيرة من قبلة فلبتة فحصل
بجاعة الامير بعض الاطنان بها وما عسى تعد الجيول ولو بلغت ما بلغت في الكثرة

ع

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
من كتاب "نخبة ما تشر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

مع العسكر النظامية المفواة بالمدافع فقبل الصبح وصلت العسكر من تلمسان التي
كان بعث اليها بالحضور فتعصرت قوتيرها واستند ساردها بوضوئها بوقتها التي اراد
تعالى ارفع في قلب الجيوش الفرنسية فماتت راجعة الى وراة على طريقها التي جازت منه
مع انها لم يحدث بالامس كل واحد الكانت وصلت مدينة معسكر و دخلتها بلا معاض
و حصنت فيها اذ لمدافع اهلها قبل يجرى ذلك العسكر والاهالي لا تغدر على دفاع العسكر
النظامي وترجيحهم لما راى الناس رجوعها وتوليها القهقري مع حضور العسكر
التلمسانية تغوت قلوب الاهالي ورجع من كان في تلمسان الا القليل ثم انتشبت
الزيران البرية بين الفريقين وقد اجتمعت جموع بلغة من الاهالي واحتاطت بهم
في حينئذ الوطيس والتمس وجدها رار واطلقت الاعراب الزيران بالاشجار الملتفة
بدلك الحبل والحشيش امام الجيوش الفرنسية وعن البيتين والشمال واكرزت
من الصباح والظفر والصحى مع تناليع الصواعق من مدافع الجيوش فوهت
العسكر الفرنسية وانكسرت شجرتها وفشلت كل الغنل وحصل فيها الضعف
والخلل ولا سيما حيث اخذ رئيس الطعية بعض المدافع وشعلها امامهم على محل
من نفع ثم ارسل عليهم نيرانها المتتابعة وكان حاذقاهم في كيفية ارسالها عليهم فقام
الغنل الكلى وتروا جميع ذخائرهم وبعض المدافع ولم يبقوا يديهم الا ما لا يدمنه
وتوجهوا قاصدين الى طلب الخصم به والتخلص من الهلاك اذ لم يبق من جيشهم في ذلك
الزهار الا نل الا طائفة جمعت على من بقي من الروساء وانخزلت شبه قلعة من نفعه الا ان
ومشت نحو البحر اذ رأت فيه بعض المراكب من مراكبها كانت يتوكل فيه وقد كانت است
من الناجاة فانها رفعت علامة التسليم واشهرتها من بين ولم تحصل ذلك على طائل لعدم
فئة البارود من تلك الجيوش المتفككة من عشائر العرب واخلاها حيث انها لا تهم
علامة التسليم او انها ذهبت وقصرت اعداءهم بالكلية فيمنع تحقيقها بالالهات
وتيقنوا ان لا ناجاة واما عسكر الامير فظن ان تلك العلامة مجرد دعة وهم لم يتر
ان ما بقى من الجند الفرنسي لما وصل الى البحر قربت منه تلك المراكب وصاروا
على سبيل الاتفاق وحدهم على اسواق حال فكنوها ونجوا ولو لا حال استوصلوا
جميعا وقطعوا دبرهم وفي ذلك الزمان يقول عم الامير من قصيدة
قلنا لهم ظهر الجبل عشية اصبنا بها الف الف وبصفا من الف الف
وهذا القدر وهو الذي تركوه ملقى على وجه الارض في مقبلة اليوم الثاني ما عدا من مات
مهم في مقبلة اليوم الاول و واروه ولم يظهر له اثر شعبة ان تحرق الاعراب وذلك
العدد ويكفي انه يرب من التسجانة ناعدا الجيارج وقدمت في اليوم الثاني عدة من
روساء عسكر الامير وكثير من شايخ العرب وفي اليوم الاول استشهد جميع عسكر الامير
الذي خرج من مدينة معسكر ومعهم اثنا عشر حنا بطا كيرا من الذين يشار اليهم
وتاسف على فراقهم التاسف الكلى وقد اسر من الجند الفرنسي جميع غنله اذ كان
الامير وعد كل من جاءه من عسكرهم حيا او براس ميت فانه اخذ غنل راسه
فاقتحت الاعراب لذلك شدائد المنية ولما ضنت جارا لموت بهمة قوية طلبا لخصول

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
من كتاب "نخبة ما تَسْرِبُه النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

الموعودة وجاءت بعد كثير فوفي الأمير لجرحهم بما وعدوا به. مع ضعف خزنته وقلة ما بيده وكان لهذه الواقعة موضع عظيم في قلوب الأفرنج وغيرهم حتى ان الاعراب اتخذتها تاريخا لا ولا دها ومن وقتها اعتبرت الدولة العنصرية الأمير كل الاعتبار وعظم في عينها وعرفت قوة عزمه وشدة حزمه وتحققت شوكتة ونفوذ أمره. وقد كانت جات على غفلة لتنا لئنه مطلوبها على خرفة فرجع سهمها عليها وبعد هذه الواقعة التي ملأ السهل صرعاها استعظمت انفسا الأمير وعرفت حقها وصارت لا تناديه بالحرب ولا تشبب بيها ما لا بعد الحاضرة ونقصن الصلح على ان يكثر من المرات كان باقي نقصن المهارة والصلح من قبله وقد استحق هذا القدر من المولى في تلك المعركة المتقدمة من المولى حق الثقلين الاممين ولم يحضر لواقع النزاع مع ان غاية في الحرب الوقية العظيمة هذا القدر او ما يقرب منه ثم تهرم الوجهة المخلبة وكون اليوم الواحد يموت في عشرة آلاف مثلا او ما يقرب منها في مقبول عند اولى التجربة الحارفين بالمواقع في جميع هذه الحرب الواقعة الآن وان ذكر فانما هو على جهة التالذذ في ايام متعددة يصح ما ذكر وتصدق العقول الكاملة وسبب ذلك كون حوزنا الوقية نارية وهي لا تقتل فيها اكثر من ألف فاقل ثم تهرم الوجهة المكسورة وترتفع الحرب وهذا في الحرب التي بلغت حدها والا فلا يصل لهذا المقدار الا القليل من الحروب ثم بعد تلك الحاربة المتقدمة وقع الصلح بين الأمير وبين الدولة العنصرية وتمت المهادنة سنين ثم انتقضت وسبب نقصها هو ان الدولة العنصرية كانت اخذت قسمة طينة من يد الحاج احمد ما في خربت اليها من بونته وانكسرت اول مرة ثم خربت اليها من طرفتها مرة ثانية بقوة عظيمة فقال ان عسكرها كان سنين الفاما بين الرب وحاشى قملتها مرة وسبب انكسارها في المرة الاولى هو انها لما احتالحت الجيوش العنصرية بها وصارت تجعل لانفسها الاستحكامات صار رئيسها يجول بين صفوفها واذا لمرة من مدافع سور البلد اطلقت على ذلك الرئيس ففرقته شذرا من ارضه انتشت الحرب بين اهالي البلد وبينها وولوت ذلك الرئيس وشدة الرد انكسرت الجيوش العنصرية وخرجت خسارة عظيمة وكان بين الحاربة الاولى والثانية سنة اسفهم وحملهم اليها الحاج احمد باي لواحدة منها فانه خوف من الاهالي بسبب كثرة ظلمهم اطلق النار ما كان كلما توجهت الدولة العنصرية لاحذها يخرج من كان معهم الا انكسرت الى الحال بعيد منها ثم رافها منتظرا ما يصير اليه حالها وانما كان الذي يحث الاهالي على الدفع على الاحل والاولاد والوطن فاذ البلد بين الجاهل واليه تعالى الى ان اصاب وخربنا فخره لخواهني محاصرهم لها ثمانية ايام وكانوا اولوا ان يدخلوها من الباب فاقدروا بعد ان ضربوا الباب المدفع واشتغ المصراعان لهم فاجتازت امداد متعددة ورجعوا خائبين واغلق الباب واعيد لما كان عليه فلما استو امن ودخلها منه لشدة حصنه بالطايات التي كانت قد تزلوا الباب ونصبوا امداد مدافع تجاه السور من كل بعيد عن الباب ليلا او اضاغا عليه بشعلة ثم تحببانية ثم تابعت صواعقهم على ذلك الجمل فنفخوا

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

ففتح اقية باثم اقتحت على ارم على ذلك المجل وهجت بتوتها عليه فدخلت ثم صارت
 المسألة بينهم وبين الاهالي بالارزقة والشوارع مدة من الزمان ثم وقع التسليم
 والاعلان بالامان ولما دخلوها من الكثر من الرجال والنساء وزواجرهم كما افشكوه
 بالمال خوفا من السبي او لطلب سبيل الفاشية فيهم وكان الزواجر والاشخاص جدا
 ومحاولة عظيمة ولكن مدة الخوف الحماهم الى ذلك النزول من تلك المهنوة وبعد
 ان شئت قدم الفرنسيون في قسطنطينة رام بعض اولاد ملهم فلب ان يذهب اليها
 فخرج من البحر ارم متوجها نحوها على طريق البر ومضى الى اراضي الامير وعيتره ولم
 يستاذن في ذلك فلا سمحت به اسلما لفظا وعقب الغضب الشديد على العنصر
 الذين كانوا الى الطريق حيث انهم لم يشبهوا عليه السبلح ثم كتب مكتوبا للفرنسية
 ليخبرهم في ذلك الفعل فاجابه حيث ان الاربعة السن وقد اختار ذلك ومن
 انه يمكن في ذلك الوقت ولا سعة في الاخبار مع تحقيقنا ان ذلك الام لا يشق
 عليك تحقيقا لفرسه لا عليك بل على الاهالي فالحظ سهل فلم ير من الجواب نقص
 المهادة التي كانت بينهما وانتش الحرب فكانت سببا لا تذهب لسان منه اوله
 ثم احتاط بهم فيها ومنتقم عليهم غاية الضيق الذي اخرجوا منها فليسا بسببه ما يحتم
 فيها من الضحك والشفة وانقطاع المودة عنهم فلم يشيروهم القاء بما في العقيد
 الصلح بينهما نسلا وفي اثنا هذه لمدة بعث الامير سفيره الحاج المولود من ارض
 الى ارض عاصمة ملهم وقاعدة سلطتهم واجتمع مع الملك فلب وجعل له
 ضيفا في احضر اليها جلوسا روسيا دولته ووزرائه وقال لرجل يريه واما المراسلة
 بينا وبينكم ونظام المودة ولكن لا يمت ذلك الا بشرط ان يكون الكورافا حصل
 بين عريشنا وعريشك النهر الطافي الذي هو بالارض القلاية وداره من وط
 انظر فقال له اما ما ذكرته من الشروط غير المذكور فاني اقبلها واصدق عليها الآن
 واما الاول فترد على تصديقي الامير واني قبلته ان قلله ورضي به وابتوا ذلك
 السفير عندهم ثمانية اشهر وقدر الطعنة في تلك المدة على جميع عددهم وعقد
 ترهيبا له وادفعا له القوت فانه ما من يوم من الايام الا ومنت في امام الكور الذي هو فيه
 بعش على يد الجيش الذي كان راءه بالامير ومن ذلك الوقت اعتدت الدولة
 الفرنسية للامير بالاعارة على اقليم الجزائر لوقتها وعده من حدة الملوك
 ذوي المقاطعات فلما جاء ذلك السفير اخبر الامير بما قال له الملك فقال له انما
 الارض بذلك ولا اسمهم بشي من بلاد ولا حوزة ما فاجابهم على عدم تصديقك
 على ذلك ولوا دى الا انما ريت مع ان الذي يطلبه مقدار من سبلح ونصف لا غير فقال
 لرجل لا تفرح على محاورتهم ارحلها على ما اطلعت عليه من زيادة العدد والعدد
 التي عندهم وشاهدته من وفور خزانهم مع ضعفنا وقلة عددنا فخرج لا يقدّر
 عليهم فقال له ان الوهم زمني عليك وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن
 الله ثم قال له بعض الحاضرين تلك الحماوة وما يدريك ان تلك الجيوش التي كانت

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

تم برأى ملك تكون الثانية هي الأولى وإنما غير ون هنتها والساها فسكت ثم بعد مجئ
 السفيرة بعدة وقع التقاطع وسببه ما تقدم ولينه سرح لهم بعشرة فراسخ بعد ذلك
 عظم البلاء وانصلت الحروب وتوالت الشدائد على ذلك الأقليم ولطلب الراحة
 لاهله مدة خمس سنوات متوالية ولندك حرب شنيعة مزاية من أراضى المدينة وكان
 حضرها الأمير وخليفته السيد محمد بن غلال وخليفته الثاني السيد الحاج محمد
 البركاني وكانت ضباط العساكر مجتمعين فيها وبسبب ذلك الاجتماع حصلت
 من العساكر قوة وشجاعة كلية إذ قد حضرت ذلك الزمان بقلوب متحمزة
 واذلة حمرة مع ان عدد هأكان لا يزيد على ستة آلاف ما عدا جموع المتطوعة
 من الأهالي وفعلت ما لا يصدور إلا من نحو الثلاثين الفا فآثره والأمير كان من
 عادته انه لا يجمع في جميع مواقعها عساكره ويجارب بها خوفا عليها من ان يغتلبها
 الحرب فقلها بل كان عساكره وانما متفرقا على خلفائه وهم السيد محمد بن غلال والسيد
 محمد البوجيد والسيد الحاج محمد البركاني والسيد محمد بن سيدي غفلة وذلك
 لان الجيوش الفرنسية كانت تخرج متفرقة من جهات شتى لتعطل المخابرة
 بذلك ولتتفادى الأمر على الأمير وبسبب ذلك كان يقابل هو جيشا وكل واحد
 من خلفائه المذكورين يقابل جيشا من جيوشها ومع كل واحد منهم قطعة من
 العساكر النظامية وجموع من الأهالي بعدد عشرة الاف او اقل او اكثر وسعادة
 الأمير لو جمع كل عساكره وحارب بهم لافتمت الحرب في مقتلة او معتقلتين وافضل
 امره في مدة يسيرة بقله عدده وعدده اذا جمع عساكره الذي كان مقدما في الزاخر
 ولم يحاش اثنا عشر الفا منتظمة الا تنظما لموجود بين الدول منها ثمانية
 الاف مشاة واربعة الاف خيالة وما كان تقوية سوادها الا بجموع الأهالي
 المتطوعة ولم يحصل في جميع حروب الأمير ومواقعه مع كثرتها ونقصها ما حصل
 في المقتلة الأولى من القتل وفي مقتلة ثنيته مزاية واما حرب جامع الزوا
 فان العساكر الفرنسية كانت فيها قليلة جدا ولذلك استأصلهم بالجمع
 واحدة في مدة يسيرة قتلا واسرا ولم يبق منهم احد والذكا واجب لثبات عسكر
 الأمير الثقات الكمل في مقتلة ثنيته مزاية المتقدمة هو اتخاذهم التخصيصات
 اللازمة فان الجيوش الفرنسية كانت قاصدة دخول المدينة فاستبقاها عساكر
 الأمير وجعلت امامها بطريق استحكامات وثيقة ثم انشبت الحرب بين
 الفريقين وحمقت العساكر الفرنسية المرة بعد المرة على عساكر الأمير وما
 ان تخرجوا من الاستحكامات وفي كل هجوم ترجع الى وراء متولية القهضة
 عن عدد بلبع من قتلى وجرحى حتى صارت الارض مزروعة بجثث الاكويين
 وترى النجوم مهابرة في كائهم الحجاز نخل خاوية ومن العجب انهم وجدوا في هذه
 المقتلة جملته من العساكر المصرية مع الجيوش الفرنسية وكلها من الجيوش السودانية
 ولم يتحقق بسبب حضورهم الى الآن ونال ان محمد علي باشا والى مصر امدتهم بذلك
 الطائفة

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسنى.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

الطائفة وهو ما يستعدوا له علم ثم لما اشتدت الزمان ذلك اليوم ولم تستعد
 الجيش الفرنسي من جهوماتها طيما ابراهن الملك فليب بتقدم طائفة من
 عسكرهم المسمى بالزواف وكان بعدا عن معجزة القتال ودفعوا على الموسيقا
 الكبيرة لتعظم عند ذلك صوتهم مجاوا وحملوا بجلائهم على عسكر الامير الذي كان
 بالاسلحامات بقوة عظيمة فاخر بهم منها وازخر بهم عن اما انهم بعد ان مات
 منهم في ذلك الهجوم خلق كثير وكلدوا بسبب ذلك الهجوم المتوالي خسارات
 جمة وخرج ابن الملك فليب في رطله ومات بسبب ذلك المخرج وان اشاعوا
 ان الكروسة هي التي مرت على رطله واقوى ان اصاب بالاصاص وحمل ومات
 ثم انفصل الزاه عن عدد بليغ من قبيل وكثير خرج وناجى بك بحاربه يموت
 في يابن الملك وفي اليوم الثالث بالقرب من ذلك الجبل انتشبت الحرب
 بين الفريقين واشتدت ولبقت الى ان تولى النهار ثم انفصل الجحان وكانت
 الغلبة لعمال الامير عليهم والحاصل ان حروب الامير معهم كثرة وكذا غزواته
 على الاعراب التي اعانته عليه وحدث معهم كل الجدة كثيرة ايضا فحتم جميعها
 حكمة الكبر او سبب اغارة الاعراب لهم ان الدولة الفرنسية لما تحققت صلاحية
 الامير بعدم استعمال السياسة معها والمداخلة شغرت في جلب الاعراب
 بسبل الدراهم البليغة لبرافها حتى استجلبهم بذلك ككل جلب وبسبب ذلك
 بذلوا مجهودهم كغيرها والاشير وسعوا في تأخر امره ولا سيما في آخر الامر
 فان من الامور المحققة ان الدولة الفرنسية لو لم تسجل قلب الاعراب
 بالاحسان الذي تقتضيه السياسة واستجلبها الامير بالمجارية فقل
 اشتد ادعاهه وتقوية بتكثير العسا اما قدرت عليه اصلا ولكن الممارات
 سنة صلا ثم التي تقضيها خاصية الاقليم مع حده على الجدي في كتب الجيش
 والتفاته كل الالتفات للامور العسكرية مهمته في تحقيق ما بها ان تتركه
 حتى تقوى عضده ويكتب مجيدين العائن اهل ذلك الاقليم الذين بعد
 كل واحد منهم بعشرة من غيرهم كما هو شأن هذين عسكرا فلا يتركها اخذ
 الاقليم اصلا وقد كانت نية الامير ان يكتب ذلك القدر من اهل الاقليم
 كما خرج بذلك بلسانه وسبب ذلك بادرته بالمجارية قبل ان يشر بساعده
 بما ذكرنا ونقصت المعاهدة التي كانت بينها وبينه وجيت بموتها بليغة
 وخرجت بها من مواضع شتى متعلقة بعدم رضا الامير بتغيير الحد الذي
 كان طلب الملك من سيفه وكما قدر منها وشيئ من الت الحروب على اهل
 ذلك الاقليم وتنازعت الثكنات ودامت العمليات الى ان استولوا على
 ذلك الاقليم بجمعة مدنية بعد مدية وجبلا بعد جبل بعد معاناة متدرة
 حروب ومقاساة منكم وروى الان الامير انهم لم الا بعد ان ملكوا
 لثمان فاتهم قبل استيلائهم عليها كما نواكلما اخذوا بلدة من البلدان يحاط بهم

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعتها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تشر به النواظر التامة" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

من جميع الجهات وتبقى جوشهم محصورة بها على غاية ما يكون من الضيق ولا تصل اليهم
 المؤونة الا بشق النفس واوام الامير ونواحيه سارية في الاقليم بجمعه مع كون
 المدن كلها بايديهم للامدية تلسان وجميع المدن عليهم مغلقة الا باب وان وقع
 القتال فاما يقع من طافات بالاسوار ولا يدخل عليهم احد ولا يتجاوزون الاسوار
 المدن التي هم بها ودام هذا الحال معهم مدة واعين جميع الرعايا واهل الاقليم
 طامحة الى تلسان ما ذا يصير عاقبة امرها ثم ان خليفة الامير السيد محمد بن محمد بن
 كان واليا عليها وشهد دا على اهلها ومنغصا عليهم وقهرهم وكانت تكررت شكاياتهم
 عليه للامير فلم يسمح لهم فيه ولم ينظفهم بهم نعم لم يكن من خواص احبائه ومن
 عادة انه لا يسمح في ولاته فخل احد ويقول لا يمكن ان اعثر على من يرضيه الجميع
 ولا يشكي منه احد وربما لو عرفت هذا كان من ياتي بعده ادهي وامرهم
 ذلك من الامير ~~فيما بينه وبينهم~~ فاضرت تلك البلدة المذكورة وما حاربها الش
 وانظرت الفرصة ثم ان الدولة العنصرية توجهت اليها لما علمت من ذلك فدخلتها
 واستولت عليها وبجدا استلها عليها فتفتحت ابواب المدن التي كانت
 دخلتها وكانت ابوابها مغلقة عليها وذهبت الضيق عنها بالكلية ومن وقتها تشتت
 الا حوز على الامير وظهر تغلب الدولة العنصرية عليه فكانت تلسان على المتنازع
 لهم جميع الاقليم مع ما خاضعها وكانت لينة التمام وقد كانوا اخذوها من الامير
 قبل ذلك فصارهم بها الى ان اخرهم منها صلحا لانهم في ذلك الوقت كانوا لم يتروا
 على غيرهم من المدن التي كانت تحت ولايتهم من المدن البرية وكانت قوتهم وقسوتهم
 مشهورة في الجبل وقلوب جميع الاحوال معهم وفي المرة الثانية كانت هي آخر بلدة
 اخذوها منه وكان قد اضعف وعلا الكلال من الجناح قد انقطع وزيادة على
 خروج تلسان من يد الامير ان خليفة المقدم السيد محمد بن علال كان سائرا
 بعسكره بارض الجحافة ثم نزل مع ساء وقد كانت العساكر العنصرية في مأثره
 ومحمد بن زوله اذ رآته وراحت ان تحط به فلقطعهم عساكره وكانت على غاية
 من التعب ثم انتشبت الحرب بينهما ولما قويت عليهم الجيوش العنصرية اجتمعوا
 وحملوا منه قلعة من عساكرهم ثم امتلئت نار الحرب واكثر الاشغال فقللوا
 وحصل بعض القتلى في عساكره اذ هجمت عليها الجيوش العنصرية فقوموا
 فقال بعض رؤساء العسكر المذكور انكبت في ذلك وانج بنفسك فان الامر
 شديد وكان نازلا بوسط العسكر فلم يفعل ولا يستحسن ذلك القول منه اذ
 كانت شجاعته وموته ثانيا في ذلك فاضرت ثابته بعد ذلك الامة لبيدة
 واختر نظام العسكر لينة القتلى فملك في سنة اذ ذلك ولم يبارح المحتلة الا
 مقدار عشرة دقات حتى اصيب وخر من فرسه متارحمه اسرته وان قتل جميع
 عسكره سوى من حرب وتوارى في الاشجار والشتات والحاصل انهم لم يبق من ذلك
 الجمع الا النادر وكانت هذه الكلية عقب اخذ تلسان فتحا ظمها اخلل وفتشا

الماشى

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسيني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

التماسي وكثر الزلل وكان عم الأمير المتقدم اسمه سابقا اشار عليه بان يحسن تلمسان
 كل الحصن ويجعل عليها قلعا شاهقة ويحلب اليها جميع ما يلزم من المهمات والذخائر
 والالات ويخزنها فاعده مملكة ويعد لها مكانا على انام ملوك الاوائل بنى زيان
 وقال لبرني بقيت في مملكك لا تحصل الامارة تاخر اصلك فكان الامام كافر فنجي وما خرجت
 تلمسان من يد الامير خرج الاقليم بجميعه من يد الامير دفعة واحدة واصبحت الفرسوية في
 التقدم الكلي وتم لها ملك الاقليم لانهم في الحقيقة ماملوكوا الاقليم بجميعه الامام بعد تملك
 لها وذلك سنة (١٢٥٩) وقد كان اخبر بعض المطلعين على الحقيقة الامام بان لو تم
 تاجه اخذ تلمسان مقدارا شهريين او ثلثه لكانت الفرسوية جعلت شر وطا فيها
 وبين الامير وخرجت له من جميع المدن التي كانت دخلها واستولت عليها فانها ما بقيت
 اعينها الا بعد استيلائها على تلمسان ثم بعد ان ثبت قدمهم فيها شرعوا في بذل الاموال
 البديعة وساء الاقليم واكابرهم الكرام كانوا يبدلون لها سائقا واطلقوا لهم الاذن
 التاجر والتصرف العام فيما يريدونه واظهروا لاهالي غاية الاحسان فاستجابوا قلوبهم
 بعضهم سبائهم وتوجهت القلوب اليهم لما كانوا الظهور ومن تمام اللطف الذي توجبه
 السياسة وبها يحصل التمكن للانسان فيما يريد فاعانتهم الاعراب بسبب ذلك
 على الامير بوجوه الاعانة وقالته ووزنهم وسبب ذلك انسج الحرق عليه واصبح امره
 في الضعف شيئا فشيئا الى ان خرج من جميع الاقليم الحرا من عسكره ووجهه الى الاراضي
 النفا ووزن القفار وكما ينسبر له والجميعه السقاء بها من شدة الجلاء والخطير رجع
 والتجأ الى الدخول في اطراف حدود الاقليم الكشي فاجل حذود الجرائم جعلت
 برابره فوضي لانما يقتلون مع بعضهم ويضطعون الطرق والاحكام الماشية
 لا تنالهم ولا يسمعون قراها ولا يشفون اليها ولا لامها او نهى عا ولا امر يجرهم يامر يعرف
 ولا ناسي يجرهم من ملك وانما هي تحت سلطان م الكشي بحد الاسم قلت تحتها هناك
 من الثلاث سنوات وما قرب منها وكان في هذه المدة يشكن العائلات على الاراضي
 الجرائمة وعلما بها الذين استسلمهم الفرسوية بسببها فقاتلوه معهم قارة
 على الجيوش الفرسوية ثم يرجع بما غنم الى تلك الاراضي والجبال ويستقر بها الى ان
 ينقذ بعض ما حصله من ذلك الغنم ويحصل للفرسوية بسبب ذلك غنصه شيئا
 ولا سيما حيث لم يتمكن لها الوصول اليه التحصن تلك الاراضي والجبال وعظم المشقة
 ان يجتهد الوصول اليه مما يلحق من الحشرات الحسنة والمواغف العظيمة لمرها حال
 تلك الجبال الشوايح وربما لا يتم لهم المطلوب ولا يظفون بالمغرب ففقدوا السلطان
 واكش عبد الرحمن هشام بان يجر من ارضه حسب الاتفاق والشروط التي كانا شرطها
 على حين محاربتهم لباراضي مدينة وحدة من اطراف مملكة عمالي حدود الجرائم
 ولا سيما وان الامير كان بعد مقتلها يتلك الاراضي غائرة فاعزوه فلما سمعوا انهم
 اليه من جامع الغنم اذات يمنعه من الدخول الى الاراضي الجرائمة فحاربهم وقتلوا
 تحقروا بالهلاك جعلوا عسكرهم شدة قلعة فاحاط بهم فلم يبرحوا الا ذمنا يبر

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

حتى استأصلهم جميعا ولم يبق منهم احد الا من اخذ اسيرا من العسكر ومن الوسا الذين
لم يتقبلوا في الحركة ثم سار مشرفا فلما وصل لاراضي قزوين شئت صادف في طريقه
ثلاثا ثمانية عسكري من الجند المسمى كان اخذاجلته من الصناديق المملوءة بالبارود
والسلاح فلما دنا منها سلبت اموالها اليه بلا ضرب ولا محاربة ووضعت السلاح وذلك
ان رئيس تلك الشرطة قال لها لا يسعنا الا التسليم فاننا ان حاربنا فلما بد وان
تاخذ النار صناديق البارود ففتح في يقينا وعلى كل فلتنا ناجين فاختاروا التسليم
ووضعو اسلحهم فاستلمه عسكر الامير وبعد تسليمهم بعثهم الى ديارته ومحل
مختبره وسار مشرفا الى ان وصل الى خيال زواوه بالقرب من الجبال فخرجوا له دون سائر
المشاة فانه قد اذن لها في الرجوع فحاجته اهلته ومن كان معه من الاهالي من جماعة
البرابرة التي خيم بوسطها وقوفك في هذه الغزوة فكان ذريعا بالعميان التي
كانت معينة للفرسوية عليه بعد رجوع الامير من هذه الغزوة الى محلبين
الاراضي الماشية كتب سلطان مانش الى اروسا تلك الحال من البرابرة التي
كان الامير يحاربها بارضها بجموعه وعسكره ومستقر بوسطها بان يخرجوه وجموعه
من بينهم وحتم على ذلك كل الحث وحرصهم كل التبريض وقرأت اروسا البربر
مكاتبه على الناس بالاسواق وفي الاندية وفي جميع الخافي ومواضع الاجتماع فلم
يلتفتوا الى تحريضه لعدم اتفاق كلمتهم على ما طلبه منهم فانهم وان كانوا غلبا فغاية
من التحشيش يعلمون ان الامير يحاربهم في سبيل الله وقد دخل ارضهم وهم مسلمون
فترم مقاتله شرعا وتبيع طمعا على انهم ان راموا ذلك فلما نجحون والمجاوون
ذلك منهم سوى بربر قلعية المجاورين لمدينة مليلية من ارض الريف فجمع منهم
عليهم وخمسوا يومهم واسمهم فانهم حاربوا الامير فقتل منهم سبعائة رجل في المعركة
ثم ان السلطان عبد الرحمن لما ظهر العلوة للامير وافشاها جميع رعيته يبحثانها
الفتن لولا الخاض العام ورام مجازيته بعث سعادة الامير سوا الاعلى مصر
يستغيثهم في شأنه فاجابه العلامة المحقق الشيخ محمد طه بن شيخ المالكية بالدار
المصرية كوفض السوال المحمد بن خديج الجاهدين والعلماء والصالحين عبد القادر
ابن محي الدين الياسا وانا العلماء البارز الا فاضل الاخبار رضي الله عنه وارضاهم
وجعلوا الجنة من ذكر ومثوا المجرور كما فعله بنا سلطان الممرب من المكاتب
الشرعية التي لا توفق من مطلق الناس فضلا عن اعيانهم فامضوا نظرهم فيها شافوا
واجيبوا ناجوا ما كافيوا فاما خالها من الخلاف ليعلم قلب سامع من الاعنساء
وذلك انه لما استولى حدوده الممرب على الجوار وظلت الايام من الامير وانقطعت
السبل وعلقت الاسباب وطالت شدة الكاف اجتمع ذوا الاني وتواوضوا على ان
يقدموا رجلا من ساداتهم ليلين السبل ويكلف الظالم ويجمع المسلمين للهاد للنا يقضي
الكاف في ارضه فقدمه به فاختاروا رجلا منهم وقدموه لذلك فتقدم وعمل جهده
فيما قدموه له فقامت السبل مجددا وبقيت الاسباب بعونه وجاهد في سبيله وذلك

من

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
من كتاب "نخبة ما تشر به النواظر التامة" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسنی.
وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

أمواتنا ويفرق جننا فهل يجوز لنا أن نقاتل بقتضي ما نعلمه الشيخ ميارة ^{الشيخ} في شرح
 لاسنة الزقاق في آخر باب الامامة الكبرى ونصه رفقاً إذا خلا الوقت من الامور واجمع
 الناس رأيهم على بعض كبراء الوقت ليهديهم ويرد قلوبهم عن ضلالتهم فقام
 بذلك قدرهم له وطافته والظاهر أن القيام عليه لا يجوز والمتعرض له ربه ليقطع
 عصا الاسلام وتفرق جماعته فحق محيى صلى الله عليه عن زياد بن علاق قال
 سمعت عروة بن زكريا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما ستكون
 هتات وهتات فمن اراد ان يفرق ام هذه الامة وهو جميع فاقطعه كائناً من كان
 وبسببه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انكأ امرأته فجمع على رجل
 واحد يريد تفريق جماعتكم فاقطعه أو امرأته لا يجوز لنا ذلك ومنكأ الرجل بكاهل ليس الا
 جوابكم تواجرون وتجرون وعليكم السلام في البدء والختام والحمد لله رب العالمين
 فاجاب المذكور بما نصته المحمدية رب العالمين والصلوة والسلام على خيرنا محمد
 وآله الطاهرين نعم يحرم على السلطان المذكور اصيل الله اجماع جميع ذلك الذي
 ذكره من حرمة معلومة من الدين بالضرورة لا يشك فيها من قبله مختار لا ذرة من
 الايمان وما كان يحظر علينا ان يصدر منه مثل هذه الامور مع مثلكم فانا الله وانا
 الله راجعون وما قدر الله سبحانه وتعالى لانه ان يكون خصوصاً وانتهى جل جلاله
 عدوه وكذا ضمانه لما غصبه من رايك لا يشك فيه مسلم وكذا استحقاقه القصاص
 بقتله وما عدا عدواناً ما يشك فيه او ما رآه غيره عليه معلوم من الدين بالضرورة
 والنصوص التي ذكرتم صحيحة مرسومة لا تقبل التعديل والمهادنة التي اوضحنا فائدة
 منقوصة وسبع البقر وسائر الحيوان والطعام والشراب وكل ما يشبهون به
 في اننا نأثم المذكورة حرام قطعاً اجتماعاً ضرورة لا يشك فيه مسلم سواء في نفسه
 المسلمين اياهم وفي حال عدمه اذ قتالهم فرض عين على كل من فيه قدرة عليه ولو كان
 النساء والصبيان من اجل تلك البلا ومن حرمهم كاهل على السلطان المذكور
 وفقه الله تعالى فكيف يحل لغيره ان يعاملهم بما يشبهون به ويقعون على
 القواد في ارض الاسلام جائزة مع ذلك وانما وقع الامر وشيئاً الحصاص وانما
 يثبت وجب عليكم قتالهم وجوباً عينياً اذ هو حشدكم كما عرفت والبيعة المتولين
 الفاجئين الفاضدين النفس والجسم لعدوانه وتجارته على ما رجع المسلمون
 على تحريمه وهو انفسكم وحرمة وامنكم ومنعكم مما حرم الله عليكم بالاجماع من
 جهاد الكفار الفاجئين لكم والمقتول منكم في قتالكم كما يقول في قتال الكفار
 ليس بينه وبين البيعة الا طاعة الوجود فطاعة الله تعالى واجدوا له ما استطعتم
 من قوة فكم انتم تعالى عليه وعلى اعداء الذين وبارك فيكم وفي كل من اعانكم
 من المسلمين وعذل كل من عاونكم وعذل كائناً من كان وجعل كيداً في محرمه احر
 وقد اقتضت من السؤال والاحتياط على هذا المقادير وما لا يختص به سواد
 ثم لا يسلك ذلك من الشئ من اجتماع كلمة البرابرة على محاربة الامير وخروجهم من ارضهم

ح

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التامة" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تقطير المشام).

مع شديد الدولة النموسية عليه في ذلك بعث الى الامير وفدا فلما اجتمعوا به قالوا
 لكان سيدنا يقول لك ايمان ذهب الى الصحاري والقفار واما ان تسلم امك التي
 وتدخل تحت طاعتنا وعسكرك تدخله في عسكرنا وكل من كان منهم رئيسا يبقى على
 راسه وتفرق تلك الجيوش التي هي معك ولا تعث الكبر من يفرق جمعك فاجابهم
 بان هذه الاراضي مجبورة ولا سلطة لعل احلها ولا امر لديهم ولا امرين ولا ضرر
 عليه في دخول هذه الاراضي حيث لا نفع له يحصل من احلها وقد اقامتني الضرورة
 الى الدخول بها وكان من المحقق ان الامير كوستامه اليه ودخل تحت قبضته لا بد
 وان يقتله قطعا وخر وجدين تلك الاراضي الى الصحاري المهلكة ذات المغاور
 والقفار لا يمكنه لضعف حاله من كان معه من المجرى وهم نحو خمسة وعشرين
 الفا ما بين رجال ونساء واولاد ولو تكلف هو الخروج بعسكره وخرهم للبرابرة
 لنتهم وسبب نساءهم واولادهم وهم قد انقطعوا معه والتموا اليه وعرضوا
 اولادهم ونساءهم وانفسهم للمهلكة لاجل وانقاذ من مات منهم ورسولهم
 يسحقه الا البقاء معهم تلك الاراضي وتسلم الامم ليدبره يصرفه كيف يشاء
 على حاله فلما راي ذلك مراكز الامير مضحا على عدم تسليم نفسه اليه وعلى عدم
 خروجه من ارضه بعث اليه جيشا من جيوشه تحت راية عظمه جيوشه المسمى
 القائد الاخر واوره بمقاتلة الامير وتشتت شمله وتفرق جموعه فقتل اربعة
 اميرين الى ان مات من تحت الامير على ست ساعات بعث اربعة اميرين لجمع
 الامير وناخذه على غرة وبظهره ونال من عسكره وورعه على حمله فاذا ظهر لهم الامير
 اخذوه خبا او اثم بظلمتهن علينا صاغر فيهم ولما قربت من الاحالي تلك
 التي زمتها بادرها بالاحالي بالاراضين فاجتمع منهم البعض وركب الامير فاجلته
 من الجيول وتحكمهم فوجعوا الى محلتهم خائبين وبعد ذلك بيومين او ثلاث جمع
 الامير اوره واعاد عليهم لئلا يقبل الضداع الخ ففر منهم وقتل رئيسهم القائد
 الاحم بالمعجزة ثم قطع راسه واستولى الامير على جميع ذخائر ذلك الجيش
 واستكنه وجعل له وسقاه ذلك فقتل جاريته مرات بلعنه بشتمه وتقدم
 ان السب الجليل الى بعث القائد الاحم جارية الامير لظفر الشر الذي اشره عليه
 على صاحب الراس لاجل من عساكره با ارض مدينة واحدة وكان صاحب امر كل
 جميع هذه الحرب المجرى الواحدة من العرب والبربر فكانت نحو الثمانين الفا ولا عاها
 بالثرة وعدم وجود التنظيم العسكري وعدم اخذ الاحتياطات اللازمة كانت
 الذائرة عليها فانهزمت في اسرع وقت وتكرت جميع ذخائرها مع قلة الجيوش
 النموسية اذ كانت ثلاثين الفا ولما رأت الدولة المراكشية ان لا قوة لها على
 منافذة النموسية وان كانت اكثر من اعدادها منعاف فطلب منها المصالححة
 فاجابتها الى ذلك واشترطت عليها شروطا فكان اول شرط انها تلتزم لها
 باخراج الامير من اراضي مملكتها فتهدت لها بذلك ثم فعلت ما فعلت من

في ذلك سنة (١٢٩١)

حاربه

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

اغرأها برار مملكتها عليه ومن يهتها القائد لا حرقا لثقلته ولما يحصل لافعالها المتقدمة نتيجة
 جيش جيشا عرما ووجهته لمقاتلة الامير وانعقدت هي والدولة النورية ثانياً
 يكونوا يدا واحدة عليه فالت المالكشيه من ورائه ووقفت النورية قرب الحدود البرازيه
 امامه للتلايف والمفاوضة والتفاوض وقد خرجت اليه الجيوش المالكشيه من فاس في ثلاثين
 الفا فزالا لتجشد الجيش وتنصر اليها الاعراب والبرابر وتكنسوا ردها طلباً
 للسلب والذهب الي ان صارت تلك الجيوش غلما السهل والوعر ومعها اولادهم
 ملك مراكش الثلاثة وهم محمد الذي تولى بعده ابيه واحمد وسليمان وحضرهم والدم كل
 التبريض على استعمال غاية الاجتهاد في الحاربة وابداء التفتظ التام ولشدة الحارم
 والعزم على تقريبي جميع الامير وقتله او الا تيبان به اليه فخلوا امجد بن يحيى حار
 يسد الحافقين الي ان وصلوا الي اراضي قلعية من اراضي اريف وشيخها
 فخرج الامير امة وغزا عليهم لبلال حيث لا يمكن محاربتهم فيها لكثرة عددهم وقلة
 عسكره اذ لو لا وجود التنظيم العسكري عندهم وقوة قلوبهم فاجل لكثرة
 تحريمهم على الحرب لا قدر واعل مقاتلتهم للبلال ولا نهرا ولا بمقدار لحظة من
 الزمان فقاتلهم تلك الليلة بطولها فقتلوا فيه اعداءه ودخل عسكره محلة الاولى
 والثانية وخرقوا ذخائرهم وخيامهم وانضم اجمعها الي المحلة الثالثة ثم انضم الجمع
 الي محلة اولاد الملك وكانت قوة كثيرة وكل تلك الحملات التي دخلها عسكر الامير
 تكت خيامها وذاخرها وعط الام حتى صار الدليل لها من كثرة النيران النارية
 ولما كملت عسا الامير والجوهر التي كانت معه اخرجهم بالخرج من تلك الحملات والحيات
 التي كانوا دخلوها قبيل الضداع العج حيث لم يظنوا بالمطلوب اذ كان مقصوده
 ان يكون محاربتهم اولاً مع محلة اولاد السلطان فصدعهم صادع عن ذلك فالتزموا
 محاربتهم تلك الحملات التي ذابها ولوا غانيم القدر محاربتهم محلة المذكورة
 حصلت نتيجة داي نتيجة ولكن القدر لا يطالب ثم خرج الامير من محلاتهم فبينهم
 ولم ياحد وانما الاشياء يسيرا من اسلحتهم وبارودها وتركوها وجميع ما فيها
 ودارا جعلوا الي محبتهم ثم انتقلوا الي محلة غير محلة السابقي ثم لارال الامير
 يتابعهم وهم يتقدمون مستعينين اثره وما من دار يرجل عنها الا وليصحبون
 محبتهم فيها الي ان نزل الامير وجوهته على الزاوية المسمى ببلدية قرب مصبة على
 الترس تحت جبل كندانة وكان ذلك المحل يرب من الخط الحاركي على نحو سبع ساعات
 ثم اقمحت جوع الامير ذلك الزهر وعبرته عشية طل اذن منه محبة مفاجاة الجوع
 المراكشيه لهم وهم بذلك المحصر فستأصلهم محلة واحدة ولا يخبرهم احد اذ
 لا قدرة لهم على مقاومة تلك الجوع ولا مفر لهم لوقوعهم بين جبل وزهر كبير
 العبور ولكم اذ كان الجبل غير يربهم واليه من شاكلهم ومنه ملوية امامهم ومن
 جهة يمينهم الجوع المراكشيه فاجلوا الامكانهم من ابد اليه ولما علموا ذلك
 الهرب بالمشقة اتعظمت نزلوا وخيموا من الترس من الهرب فلم يلبثوا الا يومين
 واذا

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

واذا بالبحر من البركة حيث يحملنا بالأس فتوجه الأمير بعسكره وخيلته نحوهم وقوت
 الأهلان حادها وسارت متوجهة نحو الحدود والجوارية فرأى من موت إلى موت
 ثم انتشت الحرب بين الأمير وبين تلك الجيوش على ذلك الأمر وسبب حصن
 الأمير بهلك الأمر والتفاف في شح الطرقات بصفتة قتل الأمير منهم خلقا كثيرا وقد
 هجموا مرات على الأمر وقصدوا العبور فلم يكن ذلك لهم العبور وعدم فترة
 الزمان المتتابعة وكان كل من رام العبور سقط من على ظهره وسهاما بالارهاص
 أو بطعنا بالماء فباخذه مع فرسه إلى البحر إذا قد استبح ذلك الأمر عند
 من البحر لما طال الأمر عليهم وأيسوا من العبور إليه وجها بجيش آخر إلى الجبل
 بعيد عن صحوة القتال ليغير الأمر بالمعارض فلما راه الأمير عبر الثفت إليه وفي صحوة
 السيد قدور بن علال وركب جملته من ثيول لمع ذلك الجيش الذي كان الأمير واهبا
 لم يبع رئيس ثيولته المرحوم محمد بن يحيى فكانت عليهم الجيوش وهجمت بقوة على
 الأمر فغيره منهم المذكور ليحول ولحق بالأمير قد استبح القتال في جماعة ثم راه
 الأمير بالجمع بذلك في المدافعة فقال له المذكور لم يبق إلا الموت فقال بالجمع
 فمت فرجع بمن معه فاصيب بأول هجوم ومات وأهزمت ثيولته فاجرت الطائفة
 التي كان المذكور في مقابلتها والقتل الحمان على الأمير فقتلهم عدة ثم أهرم قاصدا
 عسكره المشاة النظامي الذي كان ثم لم يلبث وكانوا قليلين جدا وهم بالأسنة إلى
 عدم كالشعة البسيطة في النور الأسود وقد كان الأمير قال رئيس عسكره أنا
 محاربهم على الأمر ثم إن كانت علينا الجيوش فأنسا ليجي اليك ويدخل وسطك ويحل
 العسكر قلعة من بعد الأركان على العادة عند كل شدة ثم أرسل الأمير إلى الشاه
 عليهم إلى أن يرضى أو يجعله لنا فجاويز جازع لما سار الأمير ليحول قاصدا عسكره
 المشاة المذكورين انفق الصراف عسكره بطريقهم وأدبا فقال لهم ليس من
 شول الأمير مات فملكه فملكوا من عسكره لقطع هذا الوادي قبل وصول الجيول
 الشاه وركبها علينا ثم يحمل القلعة المذكورة فتفرق العسكر لقطع هذا الوادي
 ثم جتمع بعد ذلك فاحتل نظامه عند قطعها عسكره ورجعوا وسعد وصول
 الشاه إليهم إذ لم يكن إلا مقدار عشرة دقائق حتى وجت ثيول الأمير لغيره منه
 فشتتهم وفتح رئيسهم في جملته من فرسانه الأمير لم يكن الاجتماع وقامهم
 التدارك مع دخول العقول وأذهابها ولم يبق للتدارك مجال وعند ذلك
 تقطعت بالأمير الأسباب وتفرق جمعه وقتل من ذلك العسكر من قتل وأسر
 من بين أسر بلائذ يد بخاربه لا اختلاف نظامهم ثم رجع الأمير من بني معنه من
 الجيول على تلك الجيوش التي بنفسه في الهلاك والهلاك لئلا له النقاء بعد معانته
 وخاطر نفسه مرات كل الخطرة وصارت المكافأة بين ثيولته وخيولهم لم
 عليهم هوانا وبكروا عليها حتى وهلا من وقت الضيق إلى وقت الضيق وركب
 ثم لما وصلت جيوش الأمير إلى الحدود والجوارية من الجبل السمي بجزر وعند المروء

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

ولما جيئ به إلى المراكشة عنها ولما قعدة الأمير تاراجيوش إلى أخذها من جموعه سوي العسكر
 الذي قدما ذكره وكانت الجيوش الفرنسية تتجسس بالقرب من الجحار الذي يشغلها
 رئيسها المونسير قدوم ذلك وكان ابن الملك فليط عليه يشهد بها بخا الأمير
 الاتفاق في الواقع بين الدولتين ولما وقع بالأمير ما وقع وتفرقت جموعه وقتل من
 عسكره من قتل وأسره من أسره في ذلك اليوم الذي كان ان يشهد فيه الصنيع
 طلب الأمير النجاة والنجاة من يده من بين جموعه من الرجال والنساء إلى الضمير ذات
 المفاوز والعفار فقامت بكنهه ذلك لكون جميع الطرق التي تخرج من أماني كانت مسدودة
 من جميع جهاتها بالعساكر الفرنسية وبالعساكر في جميع الجهات وجميع المظان
 التي يمكن الذهاب منها والخصوص من جهتها إلى الضمير وكان الأمير قد صدح بجملات
 متعذرة للجنود منها إلى المفاوز في حدها كلها معجزة بالعساكر بحيث أنه لا يمكن
 النفوذ منها إلى المفاوز ولا ولا في قصد السد المختار أبو تقيش رئيس جبل بنيان
 من قتل الأمير لم يجعل من تمام الحجة والوقدة التي كانت بينه والامير وبينه
 فصار نحوه محمدا يعلو جبله ينزل إلى أن قرب من منزله فامر الأمير ليوهم
 لعل يشهد عليه بام أو يجده عنده مخلصا فاستمع من مواجته بعد أن ارسل إليه
 جميع ما يحتاجه هو وجاعته من الطعام وعلف الدواب وقال لمن أوصل ذلك
 سكره على الأمير وقولوا له أنه لا يقدر على الخيانة بنفسه وأولاده ومن خصه
 وبشرهم كلها قال الخيانة شغلا لا يجوز وجا يشهد بمكنته لا مثالي اذ هو مطلوب
 للدولتين وحاجتها جلتا عليه بغيرتهما وخيلهما ورجلها فانا لا أقدر على المرافعة
 عنه بوجه من الوجوه ولا يقدر على ذلك الادولة من الدول لما جرت من حوله
 فالعذر واضع فالتفح حيث لا يمكن ان لا يخلص له لوجه الحرب والاولاد ولا يمكن
 ان يتركهم لهم العدو ويبتغي نفسه فيخذل استشار من كان معه في ان يسلم
 نفسه للدولة المراكشية فكلم أبو علي ذلك واثار على بان لا ينبغي الانطواء
 فيهم من شدة الخصب وزايرة التفتيش وتمام الغلظة وعظ الحق وقد شهد
 منهم ما يصدق ذلك فانهم لما قضوا إلى الأمير السيد ابابكر عليه رحمة الله في ذلك
 النهار وكان مجروحا بالاصا في راسه مع ابن اخيه السيد محمد الصادق إلى السيد
 محمد السيد رجما الله تعالى انهما وداهما لهما اولاد ملك مراكش المذكور
 سابقا لينظرهما وكانت الغوغا سلبتها شيئا بها كما حتى سائر الحورة وقدموها
 إليهم على هذه الحالة فسطروها وامر بها فاعل بالقبود في اعناقها على تلك الحالة
 مع من مسكوه من عساكر الأمير ولم يأمروا بها بما يورى عورتهما وليت شعر كيف
 ساع لموتهما ذلك مع ما اتفق من ان رجلا من قبيلة المطالسة عرفهم بهما
 وقال لهم هذا اخوالاير وهذا ابن اخيه وبعلا ان انهما ابتداء محمد وفضلتي وقد قال الله
 الصلاة والسلام اكرموا عزيز قوم ذل ثم ردوها إلى الاسرى وبشوهما تحت اديم
 السماء

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسريه النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

السخاء وجمع حفاة عراة والليللة شديدة البرد فبعث الله من الامة لتهزموا ابراهيم
 الى بار الكور و اخذوه الى فاس في حيلة راسين من ماتت من جماعة الامير و وضعوا
 تلك الازد من على سور مدينة فاس مدة ايام ثم واروها بعد ذلك واما السيد
 محمد الصادق الكور فانهم اخذوه الى فاس معيدا في امانته شديدة وحبسوه بها
 سنتين و نصفاً ثم اخذوه الى الراسين مع اخذوه من غير الامير و ما لحلة وقد كان
 من الحقن عند جماعة الامير ان لهم مثل هذه القبايح و اعظم و لما لما استقال من
 معتمروا عليهم في الكشيت ابوا عليه ان يكلم حتى قيل له ان سلت نفسك انهم
 فائدة وان ياخذ ذلك الى فاس و يلبسوك قميصاً من حبش الى ان لم يمت كما
 عادهم في مثل امثال فان القوم متوششون و شدة غضبهم فسمع من الامير
 المتحدة لشعرا او طعنا فاعتقدت لك المجرمة على ان يسل نفسه للو الكور
 لما هو محقق من سيرهم مع الفوائد انك يا سيدي وكونهم لا يلبسون الروب
 و الاكابر من ذوي البيوت و لو كانوا اعداء لم يستب ذلك لا يمكن ان يحصل
 منهم اولى الخيانة اعرض فقلت لربس يوحى الذي كان يحيا بالقرية من الحدود
 المحرمة ان لو انه يستأجره الى حكومة و استمر عليه ثم و ما واصل ان محله
 و كانت و عيش من يريد ان يذهب معه الى الاسكندرية او غيرها من البلاد فاشية
 و ان لا يفرضوا من اراد السفر معه من راسا عليه و اخلصت حيشته و ان
 من في خدمه من مشايخ مجورج الاحمال التي كانت معه لا يشعرون له سر و لا في
 نفسه و لا في ماله فاجاب ذلك الرئيس يقول تلك الشرط و قلت له و تختم
 فشدت نفسه له و لته و ذلك مما و انك انما استأجره (ع ١٠٩) و توجه الى
 مسكنه فطعمه بالزبيب و التمر و المحل و الخطير و توجهوا الى جامع
 الزخا و اكرمهم من منى من راسين الكور على الحدود المراسية و اكرمهم منها
 في البحر الى و حلال ثم ما قطعوا الى البحر الى بلاد مصر و انزلوه بمدينة طنطا و كان و بيج
 قهران و ثلاثة اشهر و نصفه فاقى اليه بها ارباب مجلس الكور من اهل بقاغة
 ملاهم و استطعموه عن محاربتهم و كيف ابلج قتل الاغاثة على التي
 كانت تملك بعدها اليه با راضي فتمت فو نقتل فقتلت مبراهي و من كان
 معه من اسرى و اوقفه جامع القراة و لم ينكسوا في رؤسها فاجلهم كان
 محاربي منها كانت لها فطنة على و طين و حرط على ما يقتضيه الانسان و تحم
 به من و جوبت هذا الفقه الشخص من نفسه و من ياد و من و ان اهل القلي
 سكر الى امرهم الذي غرم و القتل و منهم و فحبت على المياعة غرم ما زالت
 روح في حبس و اما القصر الذي قتل مبراهي من ذلك ما و على و الا لخشنة
 ولا حزن من فعل ذلك القتل و اما الرئيس الذي قتل فطنة خليفة على بعد
 دها في غار يا هبة الذي سولت له نفسه ذلك القتل القبح فتعصى انا راج فقام

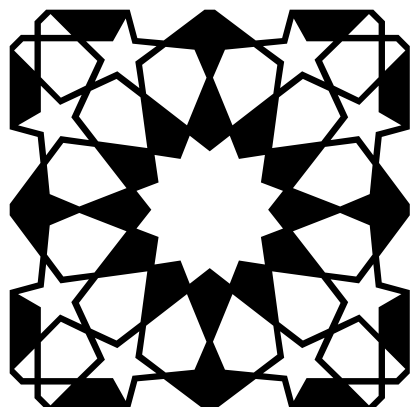
نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

نزول الأمير ولائاً إلى تدق وتقر الغارات من وقت العصر إلى الغروب ثم تاتي بوجها
 المويبي في العسكر ولا تزال تصيح فيها المطربة إلى ان ينام الناس وهكذا
 في جميع تلك الأيام والليالي التي استقام فيها بتلك البلدة ثم سافر منها إلى
 بلدة أخرى ومنها إلى قرية ابوها فأنزلوا الأمير في قصر عال بها من أعظم بناو
 الدنيا أعده بعض ملوكهم ليقم فيه بعض الزمنية الصيف والخريف مطلق
 ذلك القصر على نهر تجري فيه السفن والبوابير الصغيرة على الحسن ما يرى من
 النظرة والبهجة ويحيط به سنان عظيم فيه مياه وهو راجح نحو على أنواع
 الأشجار والوال زهار وقد لبث الأمير فيه مع أهله وحشم ثلاث سنواست ٧٧
 ثم ان ملك الدولة الفرنسية نابليون لما تمت له المملكة على دولته ولم يبق
 له معارض اختار تسريح الأمير ليؤتي له بالشرط الذي كان ارثاً لطلد الأمير
 على دولته حين تسليم نفسه اليهم خشية ان تبقى دولته مذمومة باكلها فيها
 الوعد ونقضها العهد وبذلك ذلك في كتب النواحي كما فعلت دولته راسانيا
 مع أهل الهندس فان ملكها نقض في مدة نسبة عهده وابقى فعله القبيح منظر
 إلى انتهاء الأمير ثم استأذن نابليون الدولة المضربة في قبولها دخول الأمير
 لملكها فاقبى وإليها محمد علي باشا ذلك فاستأذن نابليون شوكة السلطان
 عبد الحميد خان في قبوله دخول الأمير لمملكة فاذن له في ذلك فبعثه إليه بجعله
 تحت حمايته ويكون كالكيلى له وبعد ان قيل حفرة السلطان دخول
 المملكة استخفى نابليون ان يفرق بينه وبين اخوته فاجدهم من ابواب إلى
 الجرائر واسكنهم في مدينة بونيه ليحاط بهم كما هو بين وينبهم فيها قطعاً لالسة
 ارباب دولته وتأمينهم وتسكينهم لا يحصل لهم من الأمير التي تملك
 او فتوشين مع وجود اخوات تحت قبضتهم وحسباً لما تعطيه انكارهم من كون
 الأمير لا يصر عن العود إلى وطنه ومجاريه وعنه وان يخرج من البلاد الإسلامية
 يرجع إلى الجزائر وكانت انكاره هو غير انكارهم ولم يلبث الأمير بعد تفرق اخوته
 الثلاثة أشهر وجاءه ملك فرنسا نابليون ومعه وزيره إلى محله وهو بذلك
 المصغر بمركبته الجواز واعطاه ورفقه تسريحه بيده حيث انه السمع من جميع وزرائه
 وارباب دولته ادنى انكار عليه لما فعل من تسريح اخوته إلى الأقل الجرائر ولا تسريح
 في حال انكار ذلك عليه في مدة تلك الشهور الثلاثة وكان تسريح الأمير إلى
 الاستانة سنة (١٣٦٩) وقيل خرج من باب عاصمة ملك خلفه نابليون
 على المصنف الشريف علان لا ينفق العهد ويجارب الدولة الفرنسية مدة
 حياته ولا يرجع إلى الأقل الجرائر أصلاً ثم اهداه سفيرهم أو قال إماماً
 انك ترحب الدنيا ونظر بنا بصفها فأجاب الأمير بولته وحل بعد الحسنان
 ينفعل ذلك من فيدا إلى مرودة أو كال عقل ثم ودعه وسافر إلى الاستانة
 في مرسية ومضى طريقه على جزيرة صقلية من بلاد الطاليان وذهب إلى

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).

على حصص اصحاب الأثر وهو متخاصم في زمانه ومرتدا واذن الشيخ محمد بن محمد الحارثي القاسمي
 حرس المولى وجوده وهو سميها مع غيرهما من معظمت الحقائق كما في الفتوحات وسميها
 على حصة الأمير قيس بن الوليد كذا في الوقت كذا في الوقت كذا في الوقت كذا في الوقت كذا في الوقت
 مولى لها والثناء عليها وهما انا ارثت قصيدتي التي للشيخ الثالث وهي قوله
 هذا الكتاب الذي عزت نظائره هذا الذي ارجح الارواح غاطره
 هذا الذي استمر فيه المعارف بالفخ المدين الذي زالت سائر
 هذا هو البحر والدر الثمين به للمولى به قد جا وخا طوره
 السيد الفريد القادر المحيى شمس الحقائق من طيات غناضه
 هو الامر الذي شاعت وقا بعد في الغرب مد نفذت فيه اوامره
 ونال شفا ناعليا في جزائره فكلهم طوعه بل هم عساكره
 لبث الوحي اسد الهيجا كثر لث اعداءه جيفا صرعى بواستره
 ذوالواردات من القصر القدس يوحى اليه من العرفان باهره
 كشاف مطوى اسرار الرغيب بالتحقيق فيه والتدقيق ثابته
 مخضرم وطود شامخ حكايا بالفتوحات قد باحت سريره
 متى يرد ملكه البصاح الجامع في الحال وارده ما في بياديه
 في ظاهر المعانيق في ظاهر المعانيق في ظاهر المعانيق في ظاهر المعانيق في ظاهر المعانيق
 كرف الضيوف ووجار الوفود للملوك غوث وملك كسور كاره
 كن المعارف بحر في العوارف لثنيه عن بدل رفد ما يجازره
 في علم حيدر في باس حنجره في جود حاتم قد كانت مظاهره
 رب التقى والهدى والمقامات وكون للضعيف احمى الشكوى وناضره
 قد فاق في حصه من كان احب وفي الممالك قهرت ملأه
 يدبج اداب احمى شامخا وقت ابرو احسانه نواده
 تنزوره الناس من اقمى البطاح على املها فينا القصد راثره
 وحمل على باهر ما بين بلخ في يد مستغدر والكل شاره
 ربح الفتا وسر في خليفته خلوا الشاغل الخشي بواره
 وكتر من صدر ورجح سبدته وكان افاضلا يتلوه كاره
 تغصن مجلسه الاعلام جانيه كاتبا راسم معلوه طائره
 اذ روي الملك باد في محافل وفي محاضره مخلو حاضره
 يعز عن كل خور منقطع وامره فيه وافيه ووافره
 حوى الفضائل مع كل الفواصل في ملك ربيع وعزرائي ناضره
 لاغر ووهو من الجنه رعبته ومنه تقي الى العليا مفاخره
 من سادة جهم فرض وقر بهم منجي ومخضرم الدين ظاهره

نماذج من مخطوط : ترجمة الأمير عبد القادر التي انتزعها الشيخ القاسمي
 من كتاب "نخبة ما تسر به النواظر التام" تأليف الشيخ أحمد بن محيي الدين الحسني.
 وهي بخط القاسمي في كتابه الموسوعي (تعطير المشام).





نماذج من مخطوط (نخبة ما تُسرُّ به النواظر) - الكتاب التام -
ومنه انتزع الشيخ القاسمي ما يتصل بترجمة الأمير عبد القادر
وألحقه في موضعه من كتابه الموسوعي (تعطير المشام)
وهذه النسخة بخط المؤلف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسني





الحمد لله تعالى بعد السلام على سيدى العظم

اروم من سماحتكم جواب ما استشكله بعضهم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وذلك انه كان
بينه وبين ابيه عليهما السلام مسيرة ثلاثة ايام او ثمانية او اكثر على ما نقلوا وكانت مدة
فراقه ثمانى عشرة او اربعين او ثمانين سنة فلم ير اسر سيدنا يوسف باه عليهما السلام
فى هذه المدة بكتاب او برول مع علمه بشغف ابيه به وسهولة ذلك عليه لما ذكر من
المساورة بينهما او ضحوت الجواب عن ذلك ولا يحضرنى هل ذكر هذا الاشكال احد من
المفسرين او المحققين وعلى كل المرام تحقيق ذلك لا زال بدركم فى سماء الافادة
طالعا وصالكم فى اندكم على المستيقنين صامعا فى ٣ رمضان العظم سنة ١٣٠٨

تحتويكم فى سائر
مخارجى الى الابد
على قدر

الحمد لله

الجواب عن ذلك والله اعلم هو انه لا يقضى ان الحفرة الا لوصية مشددة
الغيره ولا تحب ان يلا حظ معها غير ما اري توجه لسواها كل التوجه
وشهدات التوجه لسواها فلا بد ان تفرق بين التوجه والتوجه
الى امتحان منها لهما وصده مستهزاء جميع مخلوقاتها ففى ما رأت
تعلق سيدنا يوسف عليه السلام بالحفرة اليوسفيه لجا لهما التى البعثا
اياهما وشدة تعاضدهما اوجبت لهما ما اوجبت من تلك القرية جريا منها
على عادتهما فمضى سيدنا يوسف منها ذلك ترك البعث لوالده والخبار
عنه مع قرب المسافة وكونه كان عزيز مصر وكل امر الاخبار به الى الله
فى الوقت الذى يريد نصير تلك المدة وكل ذلك الحكم لا يعلمها الا الله
تعالى وهذا غاية ما عرفت من الوقت والى السلام

احمد بن يحيى الدوس
الحسى
ومعه
الله

سؤال من الشيخ جمال الدين القاسمي
وجوابه من الشيخ أحمد الحسني الجزائري

دولتنا ان يجعلك والباعل الجزار واباك ان تفعل ذلك منه الان
 فانك ان قيلت ذلك منه اشترطت عليك دولتنا شروطا
 ثغيلة ورثت عليك اموالا باهضة ولكن الاولى والاخص
 والاولى بك والارفق انك تترضى الى غير هذا الوقت بان
 دولتنا مستحاج اليك عند محاربتنا الدولة من الدول العظيمة
 كالألمان او الانكليز ووقتئذ نلجأ اليك الجزار ياخذ شي من
 المال وايضا يشرط فيك من الامير لمقاتلة وصدق فيما نظى به
 وأشار به عليه لما فعل به فيه من المحتمة مع عدم بقاء الاربعين
 وأغلك النطن ان يكون ذلك القول منه نصيحة لا خديعة
 على ان الخديعة لا تقبل على مثل الامير لعظيم ذكابه ووجوه عقله
 وذهابه وبعد ذلك واجه نابليون بعرض عليه الاشراف فيقيد
 واعتز باننى رجل كبير النفس لا فورة لى الان على حمل الثقال
 التولية فلما احتاج الغنمى والشباب وصحة الجسم يقال
 له انما احييتنى بلسانك لا بقلبك وقد لاح لى ما وقع
 للامير مع نابليون من

عرض عليه تولية الجزار وعدم قبولها ان يكون تبصيرا
 لما كان كتب سيدى الوالد الاخى سيدى محمد السعيد
 مكتوب بعثته اليه من الحرم المكي بعد ان حج ورجع من جميع
 اناسك

وكم اذ نابليون ان يجعل الامير
 يملك الهند الذين هم تحت
 الانكليز والترك مصر وتونس
 لان لا انه مستقل كما
 كان ولذا لم
 يبق الامير
 ذلك منه
 والله
 اعلم

نماذج من مخطوط: نخبة ما تُسرَّبه النواظر "الكتاب التَّام" ومنه انتزع الشيخ القاسمي
 ما يتصل بترجمة الأمير عبد القادر، وألحقه في موضعه من كتابه الموسوعي "تطهير المشام"،
 وهذه النسخة بخط المؤلف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسني .

ما قولكم في رجل طلق زوجته او لا طلقه
واحدة ثم طلقها ثلاثا في كلمة واحدة ثانيا
بان قال لها طلقتك ثلاثا فهل يجوز له ان
يردها الى عصمته ام لا الجواب

نعم يجوز له ان يردها الى عصمته على ما صرح
به بعض علمائنا المالكية وغيرهم من السلف
قال ابن سلون في نوازل الطلاق اذا وقع
ثلاثا في كلمة واحدة انما يلزمه طلقه واحدة
لان الله تعالى انما ذكر طلاق الثلاث مفردا فلا
يصح ايقاعه الا كذلك وهو قول علي وابن عباس
رضي الله عنهما وجماعة من الصدر الاول و
قال به اهل الظاهر وطائفة من العلماء واخذ
به جماعة من شيوخ قرطبة ابن زباع وابن
عبد السلام واصبغ وابن حبيب وغيرهم
بالاندلس فعلى قول هؤلاء السادة الاجلاء
طلاق الثلاث دفعة واحدة في كلمة
واحدة يعد طلقة واحد فصارتا طلقتين
مع التي قبلها فتد له بعقد جديد اهـ

المحدث
ما سطر بيانه
وجرى عليه جماعة
من الامة المذكورين
فيها وغيرهم كاشي
فاضي الامم الحسن احمد بن يحيى الدين الحسني



نموذج من فتوى الشيخ المفتي
أحمد بن محيي الدين الحسني الجزائري

الحمد لله وحده

وما صدع مجرب لتوسعة الرزق ان يذكر الانسان يوم الجمعة
يا مغنى اغنىنى عن العوالم كلها بالانقطاع اليك واعينى على
امورى بصديق التوكيل عليك بحشر جمع متواليات كل جمعة
عشرة الاف ويستغفر الله تعالى الف مرة كل صباح من تلك الايام
ويقول بعد المغرب لاحول ولا قوة الا بالله الف مرة في تلك
الايام فان الله تعالى يرقه من حيث لا يحتسب وقد جربت
ذلك واستعملته فصحى
والحمد لله احمد بن محيى
الحسنى

والاستغفار والمحوقة المذكوران يذكران
في كل يوم من ايام الاسبوع
فاذا استعملت ما ذكرناه بصديق النية
وضفاء الطوية يحصل المقصود
ان شاء الله تعالى
لمنه وكرمه

نموذج من أذكار الشيخ
أحمد بن محيي الدين الحسنى الجزائري

وذاع وبلا القلوب والاسماع وكانت الوثبة النصر تخفق على
 رؤوسها حيثما توجهتا حتى كادت سطوتها تمنع جميع
 التسعين الا فرجة من الجوانب الى البحر لما بعلا فيه من انهم
 وكانت ملوك تلكشان قد لحق دولتهم الهزم الذي يالحق
 جميع الدول قبل اضلال حالها وظهر على هرير وضعفهم غير انه
 كان مع دولتهم بعض التماسك بالجملة ولكنها لا تقدر على
 معارضة الدولة الاسبيلية وقتئذ ولا على مواجعتها
 قد قويت شوكتها وظهرت صورتها لكل الظهور وذلك بعد
 المائة العاشرة عندما تملكها الملك الاندلس فان سطوتها
 كانت بلغت النهاية وتعاظم تكاثرها على نحو المغرب الاقصى
 والمغرب الاوسط وقد استولت على ايجات تلك سنة تسعمائة
 وعشر على وهران ثلثة تسعمائة واربعه عشر ودمرت
 اهلها كل تدمير وعلت الاباعيل المفكرة حسب عادتها
 ثم طمحت بعضها الى ملك الجزائر وخايقت المسلمين في جميع تلك
 الشهور فدمرت ملوك بني زيان عن مواجعتها لفتور قوتها
 وشيخوخة دولتها وهزم سبها وكانت دولة بني عثمان في غاية
 الاستقامة والقوة القائمة وقتئذ نهاية العلو والظهور والارتقاء
 النام والنصر العالم وقد عظم امرها وشاعت سطوتها وكنيت
 قوتها وملك اكثر البلاد العمرة بالاسلام وبلغ ملكها ما لم يبلغه
 ملك غيرها وظهر من قوادها وعساكرها من القوة والشجاعة
 والعتك ما هو مسطر في التواريخ وفي الازهار باق مسمى مد
 وفوكان الرويسان المذكوران وبما جبر الدين باسائر ثروته
 واخوه قد اظهر اشجاعة عظيمة وابعلا في نصره الدين الحمدي
 حسي

نماذج من مخطوط: نخبة ما تَسَرُّ به النواظر "الكتاب التام" ومنه انتزع الشيخ القاسمي
 ما يتصل بترجمة الأمير عبد القادر وأحقته في موضعه من كتابه الموسوعي "تطهير المشام"،
 وهذه النسخة بخط المؤلف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسنی .

والصين والامام يكملا لم يطلعوا عليها لكونها ما ظهرت الا في الفون
 العاشر كما قدمناه وكل اقليم من تلك الاقاليم السبعة سبعة
 وربع مثلها باربعائة وتسعين الف وربع من غير ان
 يحسب من ذلك جبل ولا واد والبحر الا عظم محيطها كلها
 ومحيطه جبل قاب بالكش ومصر والمغرب قسم واحد
 والبحار واليمن والحبيشة قسم اخر وجوع الى ما كنا صدد
 ان الدولة العثمانية لما استغاثت بها اهل الاندلس
 كما قدمناه تأتت كل التاتي لتغير المسماة وعدم استقام
 داخلها وقتئذ ثم بعد الترتيب الكلي بعثت لهم غيرة فدان من امر
 تلك النجدة لما توطئت اليها بلغها ان الدولة الاسبورية
 ملكت من ذلك الاقليم كل الثكن وان جيوشها استولت على جميع
 العقابل والحصون والاستحكامات ورجعت لتيقنها ان امر
 ذلك الاقليم صار يحتاج الى فتح جديد وحروب كثيرة وازمنة
 طويلة غير ان بعض الاساطيل من تلك النجدة جعل
 يتردد ويحول الى البحر تحت جملة من الامراء بارست فرفة من تلك
 الاساطيل التي كانت تحت خيرا الدين باشا وانجي عروج
 باشا با ارضي بجاية من اقليم الجزائر للسؤال عن حال الاندلس
 وذلك فطنة حمص واربعين وتسعمائة فتوجهت قلوب
 الاطالي اليها والتفتت نحوها وكان ذلك سببا لاستيلاء
 الدولة التركية على الاقليم الاوسط ذكرنا استيلاء
 الدولة العثمانية على البحر ابيض وجميع اقليمها
 ثم ان خير الدين باشا واخاه اندكور جعلوا يحوون البحر
 في تلك المدة وثنا بجان الغزو على الاجرة وقد شاع امرها

نماذج من مخطوط: نخبة ما تُسر به النواظر "الكتاب التام" ومنه اقتزع الشيخ القاسمي
 ما يتصل بترجمة الأمير عبد القادر، وأحقه في موضعه من كتابه الموسوعي "تعطير المشام"،
 وهذه النسخة بخط المؤلف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسني.

ويقال ان بعض من استملكها احتال على أهلها عند دخوله
لرساها بأنه جاء زائراً وبعض من يسمع من المشاركة يظن
أنها جزيرة من الجزر البحرية سميت بالجمع أو أنها عبارة عن
جملة جزر متقاربة في حكم الجزيرة الواحدة وأن البحر المحيط
بها من جميع جهاتها الأربع وليس كذلك بل إنما هي بلدة
عظيمة ينسب إليها المغرب الأوسط متصلة بالاقليم الإفريقي
على ضفة البحر الأبيض الذي فتحه ذو القرنين وأجره من البحر المحيط من
البحر من جهة طنجة لكي يفصل به بين البلاد الأروبية وبين بلاد المسلمين وهذه البلدة ما تمدنت
استيلاء الدولة الأسبنيولية على إقليم الأندلس جميعه فانتقل
إليها من هاجر من أصحاب ذلك الإقليم واستوطنوها ويسكنها
بها كل من تهاوى خضتها وتباجأ لها وبهاؤها
ذكر طرف من أحوال ذلك الإقليم وكيفية استيلاء
الدولة الأسبنيولية عليه والفتن التي وقعت
فيه على سبيل الإجمال ألا يدرك كله لا يترك كله لا يترك
كله وذكر ما وقع بالحق على ذلك الإقليم على التفصيل
يكثر البال ويهيج الغضب ويثير نار البلبال
وأقول إن أول بلاء أصيب به أهل ذلك الإقليم هو
تفرق كلمته وخروجهم عن طاعة خالفهم وبسبب ذلك
الفتن تعال على شدة أرباب المصائب والنكبات والحن والهلاك
والويلال حتى استولت على جميع أراضيهم وبلادهم تلك الدولة
وملكتها وشتت شمل جمعيتهم وبزدهم ما جاست خلال بيوتهم
وأماكنهم وخربتها وقد كان في أرغد عيشهم وهذه وعز ربهم
وبلغ

الملك الفقيه

ويقال أن بعض من استملكها احتال على أهلها عند دخوله لرساها بأنه جاء زائراً، وبعض من يسمع من المشاركة يظن أنها جزيرة من الجزر البحرية، سميت بالجمع، أو أنها عبارة عن جملة جزر متقاربة في حكم الجزيرة الواحدة، وأن البحر المحيط بها من جميع جهاتها الأربع، وليس كذلك، بل إنما هي بلدة عظيمة ينسب إليها المغرب الأوسط متصلة بالاقليم الإفريقي على ضفة البحر الأبيض الذي فتحه ذو القرنين، وأجره من البحر المحيط من جهة طنجة، لكي يفصل به بين البلاد الأروبية وبين بلاد المسلمين، وهذه البلدة ما تمدنت كل التمدن إلا بعد استيلاء الدولة الأسبنيولية على إقليم الأندلس بجمعيه، فانتقل إليها من هاجر من أصحاب ذلك الإقليم واستوطنوها. ويسكنها بها كمل تمدنها، وتم حسناتها، وبدا جمالها وبهاؤها.

ذكر طرف من أحوال ذلك الإقليم وكيفية استيلاء الدولة الأسبنيولية عليه، والفتن التي وقعت فيه على سبيل الإجمال، إذا ما لا يدرك كله لا يترك كله، وذكر ما وقع بأصحاب ذلك الإقليم على التفصيل، يكثر البال، ويهيج الغضب، ويثير نار البلبال.

وأقول: إن أول بلاء أصيب به أهل ذلك الإقليم هو تفرق كلمتهم، وخروجهم عن طاعة خالفهم، وبسبب ذلك أضر الحق تعالي عليهم شدة المصائب والنكبات والحن والهلاك والويلال، حتى استولت على جميع أراضيهم وبلادهم تلك الدولة، ومملكته وشتت شمل جمعيتهم وبزدهم ما جاست خلال بيوتهم وأماكنهم وخربتها، وقد كان في أرغد عيشهم وهذه وعز ربهم وعز ويسط

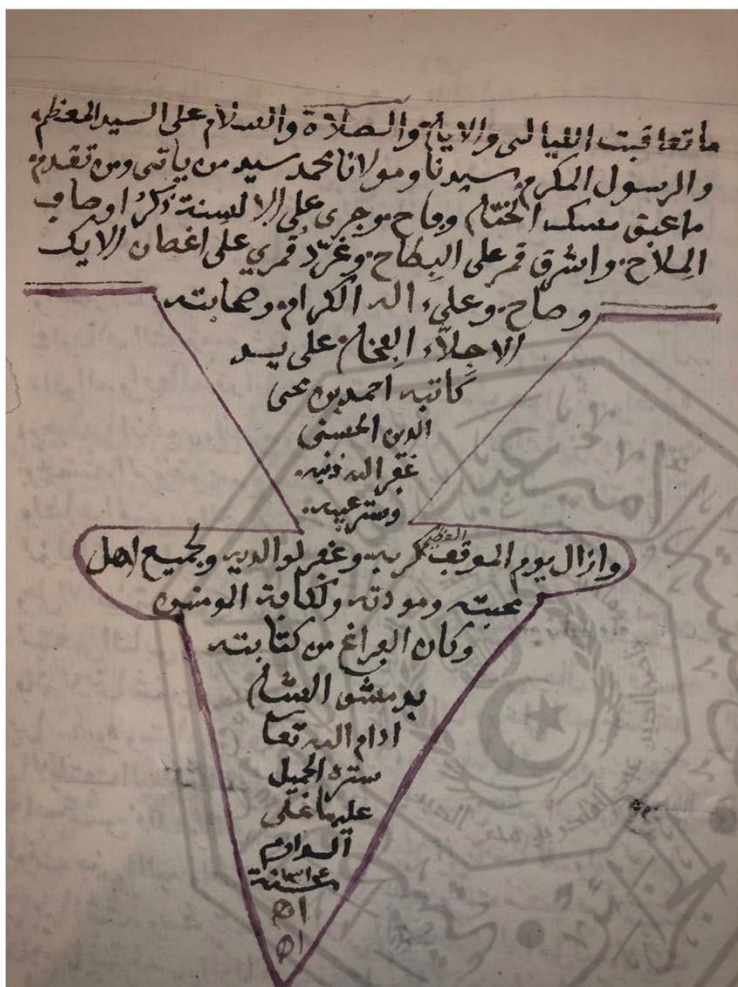
نماذج من مخطوط: نخبة ما تَسُرُّ به النواظر "الكتاب التام" ومنه انتزع الشيخ القاسمي ما يتصل بترجمة الأمير عبد القادر. وألحقه في موضعه من كتابه الموسوعي "تقطيع المشام"، وهذه النسخة بخط المؤلف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسني .

في هذه الأوراق جملاً لطيفة وأخباراً طريفة مملوءة الجنا والرفاق
 لا يفة للسامة في جند التلاق، واجتماع الرفاق
 وسميتها نخبة ما تسر به النواظر والبهج
 ما يسطر في الوفاة ويبيان سبب تولية
 ذي الكمال الباهر، والمجد المؤثر الظاهر
 والفضل والنسب الطاهر، حضرة أخى
 الأمير السيد عبد القادر بن محي الدين
 المحسني الإمارة على إقليم الجزائر، وكيفية بيعته
 وسبب تسليمه للإقليم، وخروجه من يده مما ثبت لدى من
 الأخبار الصحيحة التي حصلت له والحوادث التي شاهدها
 وأبصرتها، ذكرها قبيل الشروع في المقصود ما أبدته القدرة
 الإلهية من تقلبات الأحوال على الأمكنة والأزمنة، ومجول
 الرجال وتصرفات الدهر المحدود، وتجليات مالك الملك المعبود
 ليتذكر بذلك من يتذكره ويتبصر بها من يتبصره ويعتبر بما يرى ويروى
 من تقلبات الشئون الإلهية من يعتبر ويدقق الفكر في الأمور الكونية
 والأحوال ويتدبر ويعين النظر فيها، ويتفكر بأن في تقلبات تلك
 الأحوال لعبرة عظيمة، وأي خبرة لمن كان من ذوي العقول
 الكاملة والخبرة، قال: إن مدينة الجزائر كانت في القديم
 قرية مخشوشة تسكنها قبائل البربر الذين هم أصحاب
 ذلك الإقليم، تسمى بقرية بني مزغنة، لا تمدن بها، ولا لطافة
 بها ساكنيها، جعلت تنتقل إلى التمدن شيئاً فشيئاً، ونحت
 لها هذا الاسم الذي هو موضوع لها الآن، وجعل علماً عليها
 من قولهم: جاء زائر أو لا يعلم لهذه التسمية سبب على التحقيق

البيعة له

في هذه الأوراق جملاً لطيفة وأخباراً مستحسنة طريفة حلوة الجنا والمذاق لافقة للمسامرة
 عند التلاق، واجتماع الرفاق .
 ونخبة ما تسر به النواظر والبهج ما يسطر في الدفاتر، في بيان سبب تولية ذي
 الكمال الباهر، والمجد المؤثر الظاهر، والفضل والنسب الطاهر، حضرة أخى الأمير السيد
 عبد القادر بن محي الدين الحسناني الإمارة على إقليم الجزائر، وكيفية بيعته، وفي سبب
 تسليمه للإقليم، وخروجه من يده مما ثبت لدى من الأخبار الصحيحة التي حصلت لها
 والحوادث التي شاهدها وأبصرتها، ذكرها قبيل الشروع بالمقصود، ما أبدته القدرة الإلهية من
 تقلبات الأحوال على الأمكنة والأزمنة، ومجول الرجال وتصرفات الدهر المحدود، وتجليات
 مالك الملك المعبود، ليتذكر بذلك من يتذكره ويتبصر بها من يتبصره
 ويعتبر بما يرى ويسمع من تقلبات الشئون الإلهية من يعتبر ويدقق الفكر في الأمور الكونية
 والأحوال ويتدبر ويعين النظر فيها، ويتفكر بأن في تقلبات تلك الأحوال لعبرة عظيمة، وأي
 خبرة لمن كان من ذوي العقول الكاملة والخبرة.
 فأقول: إن مدينة الجزائر كانت في القديم قرية مخشوشة تسكنها قبائل البربر الذين هم
 أصحاب ذلك الإقليم، تسمى بقرية بني مزغنة، لا تمدن بها، ولا لطافة بساكنيها، ثم
 جعلت تنتقل إلى التمدن شيئاً فشيئاً، ونحت لها هذا الاسم الذي هو موضوع لها الآن، وجعل
 علماً عليها من قولهم: جاء زائر، ولا يعلم لهذه التسمية سبب على التحقيق .

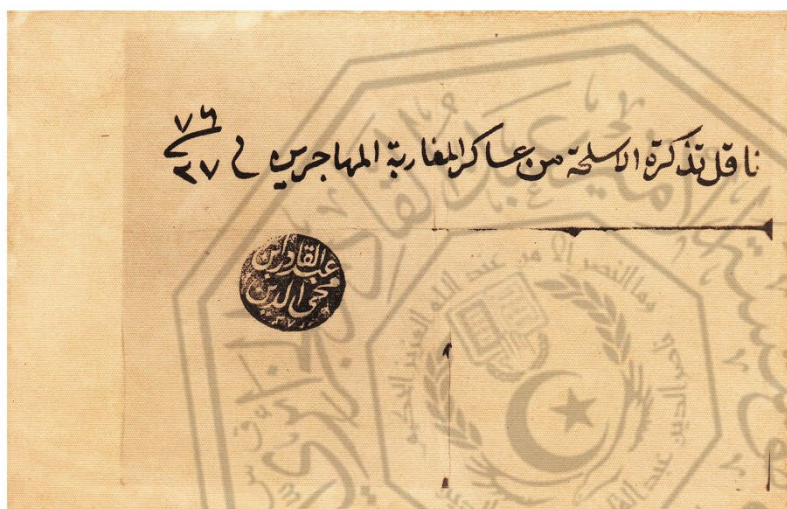
نماذج من مخطوط: نخبة ما تسر به النواظر "الكتاب التام" ومنه انتزع الشيخ القاسمي
 ما يتصل بترجمة الأمير عبد القادر، وألحقه في موضعه من كتابه الموسوعي "تقطيع المشام"،
 وهذه النسخة بخط المؤلف الإمام أحمد بن محيي الدين الحسناني .



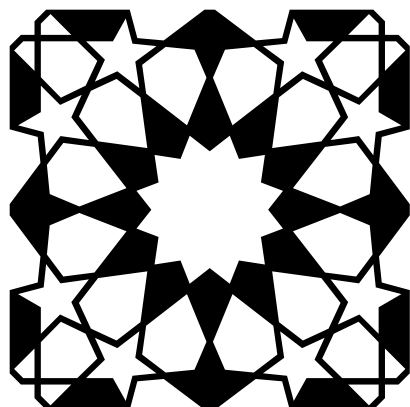
خاتمة المخطوط التام للعلامة الشيخ أحمد بن محيي الدين
 ((نخبه ما تسر به النواظر))
 ويظهر فيها تاريخ الفراغ من كتابته عام 1314 هـ
 الموافق ل 1896 م



دار الأمير في أشرفية صحنايا - ريف دمشق



بطاقة حمل سلاح جرى تداولها أيام فتنة 1860 م
 بختم الأمير عبد القادر الجزائري





الفهرس

الصفحة	العنوان
3	الإهداء
6	مشجر قبيلة العارف بالله عبد القادر الإدريسي الحسني
7	كلمة شكر
9	تقديم الكتاب
15	منهج العلامة المفتي المالكي الأمير أحمد فيما كتب
21	تقريظ الكتاب للشيخ جمال الدين القاسمي
25	استيلاء العثمانيين على الجزائر وتونس
29	هجوم الإنكليز على مدينة الجزائر
30	هجوم إسبانيا على الجزائر
31	الخلاف مع فرنسا، ووالي الجزائر حسين باشا يضرب قنصل فرنسا بمروحة
33	فرنسا تطلب من محمد علي والي مصر الوساطة مع الجزائر
35	تسلُّط الفرنسيين على الجزائر
43	الاستيلاء على وهران وغيرها

الصفحة

العنوان

- 47 رغبة الأهالي في تولية الأمير عبد القادر
- 49 استشهاد ابن أخي الأمير السيد أحمد في غزوة وهران
- 52 مبايعة الأمير
- 56 تنظيم العساكر وشراء الأسلحة
- 57 إنشاء مصنع للأسلحة
- 58 مكاتبة ملك مراكش
- 59 الاحتفال بالمولد الشريف وتجارب على القتال
- 61 مدة تولية الأمير
- 69 الصلح بين الأمير وفرنسا ثم نقضه
- 75 حرب ثنية مزاية
- 80 فرنسة تنقض المعاهدة
- 81 استيلاء الفرنسيين على تلمسان
- 82 استشهاد السيد محمد بن علال
- 88 سلطان مراكش يأمر بإخراج الأمير
- 89 الأمير يطلب فتاوى من علماء مصر بشأن سلطان مراكش
- 96 رسالة من ملك مراكش إلى الأمير بالتسليم
- 109 الأمير يسلم نفسه لفرنسة

الصفحة

العنوان

- 112 نقله من مدينة طولون إلى مدينة بو
- 113 نقله إلى إمبواز
- 115 قصيدة للأمير في محاسن البادية
- 122 السلطان العثماني عبد المجيد يقبل دخول الأمير لمملكته
- 124 مغادرة الأمير باريز إلى الأستانة
- 125 سكنه في بروسه
- 126 سكنه دمشق
- 127 زيارته للقدس والخليل
- 127 استخلاصه دار الحديث الأشرفية من المغتصبين
- 128 حادثة سنة 1860م والمعروفة بطوشة النصارى
- 128 سفره إلى حمص وحماه وحجه
- 129 اجتماعه بالشيخ محمد الفاسي وسلوكه عليه
- 130 دعوته لزيارة نابليون بباريز
- 131 حضوره افتتاح قناة السويس
- 132 تصحيح كتاب الفتوحات المكية اعتماداً على نسخ المؤلف بقونية
- 133 دعوته لزيارة أمريكا
- 133 فضائله

الصفحة

العنوان

135	وفاته
136	ولادته ونشأته
138	والد الأمير
141	صور من مخطوط الشيخ جمال الدين القاسمي (تعطير المشام)
177	صور من مخطوط الشيخ أحمد (نُخبة ما تُسر به النواظر)
191	الفهرس

